



جامعة العربي التبسي - تبسة -



كلية الحقوق والعلوم السياسية

قسم: العلوم السياسية

البعء الشرق أوسطي في الجيوبوليتيك الدولي - النموذج البريطاني -

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماسر تخصص دراسا إسراريجة

إشراف الأساا:

محمود دريبي

إعداد الطالبة

- خولة محسن

جامعة العربي التبسي - تبسة
Université Larbi Tébessi - Tébessa
لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
سمير كيم	أستاذ محاضر - ب -	رئيسا
محمود دريبي	أستاذ مساعد - أ -	مشرفا ومقرررا
رفيق بن حصير	أستاذ مساعد - أ -	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2017/2018

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾

﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ سورة طه

الآية 25 - 28

شكر وعرفان

بسم الله والحمد لله وما توفيتي إلا بالله الواحد الأحد فسبحانه جل علاه، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله

نبينا وحبينا المصطفى محمد عليه أفضل الصلاة والسلام أما بعد :

ما أجمل أن يضع الإنسان هدفاً في حياته . . .

والأجمل أن يثمر هذا الهدف عملاً.

ما أجمل العيش بين أناس احتضنوا العلم . . .

والأجمل أنهم تغلبوا على مصاعب الحياة

إلى هنا نظوي سهر الليالي وتعب الأيام وخلاصة مشوارنا الدراسي بين دفتي هذا العمل

وكما علمتني الحياة أن أشكر كل من أحسن إلي فشكري موصول إلى المشرف الأستاذ "دمريدي محمود"

على توجيهاته التي كانت عوناً لي في إنجاز هذا البحث .

كما لا يفوتني أن أقدم باقة شكري إلى كل أساتذتي في قسم العلوم السياسية على ما بذلوه من جهد معنا

طوال مشوارنا الدراسي .

خولت

الملخص

تمحورت هاته الدراسة حول البعد الشرق أوسطي في الجيوبوليتيك الدولي والمفاهيم المتعلقة بها، وتبحث الجيوبوليتيك عن العلاقة بين الأحداث السياسية والأرض وتعتمد بذلك على الأسس الجغرافية، وتدرس الدولة من وجهة نظرها، وتعد منطقة الشرق الأوسط من المناطق التي تحتوي على كل العوامل الجغرافية التي جعلتها محل أو نقطة التقاء دولي وإقليمي ومحطة تنافس بين الدول، حيث أن الموقع الجغرافي لهذه المنطقة جعل لبريطانيا علاقات مختلفة فيها خاصة مع دول الخليج العربي وهذا راجع إلى جيوسياسية بريطانيا مما أعطاهم مكانة كبيرة في الساحة الدولية باعتبارها منطقة مركزية لها أبعادها وخلفياتها مما جعل منها محل أنظار ونموذج مغربي للكثير من القوى العظمى، بحيث تحتل مكانة كبيرة في الساحة الدولية.

Summary

This study focuses on the Middle Eastern dimension in the international geopolitics and its related concepts. Geopolitics examines the relationship between political events and the earth and therefore relies on geographical bases. The State studies the region from the point of view. The Middle East is one of the regions that contain all geographical factors. The geographical location of this region has made Britain different relations in particular with the Gulf states and this is due to the geopolitics of Britain, which gave it a great place in the international arena as a central area has a father. Its background and background, making it an attractive and attractive model for many of the great powers, so that it occupies a great place in the international arena.



فهرس الأشكال

الصفحة	العنوان	الرقم
20	خريطة ألفريد ماهان - القوى البحرية	01
24	خريطة شكل قلب الأرض عند ماكيندر (1904/1919)	02
35	خريطة الشرق الأوسط	03

فہرست الحروفیات

فهرس المحتويات

الصفحة	المحتوى
-	شكر وعرفان
-	فهرس الجداول
-	فهرس المحتويات
6-1	مقدمة
25-7	الفصل الأول: الإطار المفاهيمي والنظري للجيوبوليتيك الدولي
08	المبحث الأول: مقارنة مفاهيمية للجيوبوليتيك
08	المطلب الأول: مفهوم الجيوبوليتيك
09	المطلب الثاني: الفرق بين الجيوبوليتيك ومفاهيم أخرى
11	المطلب الثالث: تطور الجيوبوليتيك عبر العصور
15	المبحث الثاني: التصورات النظرية للجيوبوليتيك البريطاني
15	المطلب الأول: نظرية المجال الحيوي "Living Space" (فريدريك راتزل)
16	المطلب الثاني: نظرية القوى البحرية لألفريد ماهان
20	المطلب الثالث: نظرية القلب أو النظرية المركزية لـ "هالفورد ماكيندر"
25	خلاصة الفصل الأول
46-26	الفصل الثاني: دراسة جيوسياسية لمنطقة الشرق الأوسط
27	المبحث الأول: الحدود الأنطولوجية للشرق الأوسط
27	المطلب الأول: تاريخية مصطلح الشرق الأوسط
31	المطلب الثاني: الضبط التعريفي للشرق الأوسط
33	المطلب الثالث: عوامل تشكل الشرق الأوسط
34	المبحث الثاني: المقومات الجيوسياسية لمنطقة الشرق الأوسط
34	المطلب الأول: الأهمية المكانية لمنطقة الشرق الأوسط
35	المطلب الثاني: الأهمية الجيو إستراتيجية والاقتصادية لمنطقة الشرق الأوسط
38	المطلب الثالث: الأهمية الأمنية لمنطقة الشرق الأوسط
40	المبحث الثالث: الاستقطاب الدولي والإقليمي في منطقة الشرق الأوسط

فهرس المحتويات

40	المطلب الأول: الاستقطاب الإقليمي
42	المطلب الثاني: الاستقطاب الدولي
46	خلاصة الفصل الثاني
100-47	الفصل الثالث: مركزية منطقة الشرق الأوسط في الجيوبوليتيك البريطاني
48	المبحث الأول: مرتكزات القوة البريطانية في منطقة الشرق الأوسط
48	المطلب الأول: مرتكزات تاريخية
55	المطلب الثاني: مرتكزات اقتصادية
69	المبحث الثاني: العلاقات البريطانية مع قوى الشرق الأوسطية
69	المطلب الأول: المجال العربي
76	المطلب الثاني: المجال غير العربي
82	المبحث الثالث: الرؤى المستقبلية للسياسة البريطانية في الشرق الأوسط
82	المطلب الأول: العلاقات الشرق أوسطية بعد الحراك العربي
88	المطلب الثاني: العلاقات البريطانية في الشرق الأوسط بعد انفصالها من الاتحاد الأوروبي
99	خلاصة الفصل الثالث
100	الخاتمة
102	قائمة المراجع



تعتبر الجيوبوليتيك فرعاً من فروع الجغرافيا البشرية، التي تطورت وجلبت اهتمام الأكاديميين الساسة في كافة أرجاء العالم، وتتعدد تعريفات هذا العلم، وهذا يعني أن ميدانه واسع ويهتم بدراسة الدول وعلاقاتها الخارجية، وتبيان أوضاع الدول نظر لاختلاف مكوناتها، سواء كانت طبيعية أو بشرية وتهتم الدراسة في الجيوبوليتيك بدراسة الحدود السياسية كونها ظاهرة مؤثرة في كيان الدول وترسم خطة لما يجب أن تكون عليه الدولة وتضع تصور لها في المستقبل، وكذلك تهتم الجيوبوليتيك بالمتطلبات المكانية، إلا أن بعض الباحثين في الجيوبوليتيك نظروا إليها من زاوية أخرى فاعتبروها جزءاً من الجغرافيا التاريخية في صورة ديناميكية متطورة ترتبط بأنماط التجمعات السياسية المنفردة أو المجتمعة من أهم الوسائل الجدلية في دراسة الجغرافيا السياسية بهدف تحقيق القوة على المستويين الإقليمي والدولي.

وقد شكلت منطقة الشرق الأوسط عبر العصور التاريخية محطة اهتمام ونقطة تنافس الكثير من القوى العظمى لما تتمتع به من مقومات جيوسياسية وأمنية واقتصادية فما نجده اليوم في منطقة الشرق الأوسط هو عبارة عن لعبة متعددة الأطراف وتمت دراستها بدقة من طرف مجموعة دول، اعتمدوا على استراتيجيات بعيدة المدى، واستعمال أساليب وسياسات تعمل ضمن مصالحه، سواء بطرق سلمية ومباشرة، أو بطرق غير سلمية وغير مباشرة، حيث يلعب العامل الحضاري دوره الفعال من خلال النظر للحضارة الإسلامية كعدو مباشر للحضارة الغربية، وتشكل منطقة الشرق الأوسط نقطة التقاء أساسية في سياسات هذه القوى.

وتعد بريطانيا أو ما يعرف بالمملكة المتحدة من أبرز الدول التي يمكن إسقاط المواصفات الجيوبوليتيكية السابقة الذكر عليها، فقد كان لهذه العوامل دور كبير في تعزيز مكانة بريطانيا على الصعيدين الإقليمي والدولي، وتعتبر منطقة مركزية لها أبعادها وخلفياتها التاريخية ولها تجارة واسعة، كما أنها تمتلك نفوذ كبير في منطقة الشرق الأوسط، وتمثل بريطانيا أحسن نموذج مغربي، ليس فقط بسبب الازدهار الذي يعيشه ويتمتع به المجتمع البريطاني وتعد بريطانيا نقطة استقطاب للكثير من القوى الدولية كالاتحاد الأوروبي وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية والإقليمية كتركيا وإيران وإسرائيل فكل واحدة من هذه القوى تسعى لخدمة مصالحها وطرح مشاريعها في المنطقة وبناءاً على ما سبق تهدف هذه الدراسة إلى فهم حقيقة العوامل الجيوبوليتيكية وأهم المضامين المتعلقة بها وكذلك دورها في تحديد قوة الدولة البريطانية وإعطائها مكانة في الساحة الدولية.

1- أهمية الدراسة

تتمثل أهمية هذه الدراسة في أهمية علمية وأخرى عملية:

أ- أهمية علمية

- تكمن أهمية هذه الدراسة في الحديث على أهم الأبعاد الأساسية للجيوبولوتيك وهي إحدى أنواع الجغرافيا البشرية ويمكن أن تستخدم في دراسة الحدود السياسية كونها ظاهرة مؤثرة في كيان الدول
- تكمن أهمية هذا الموضوع من خلال التركيز على منطقة الشرق الأوسط وما لها من أهمية جيو إستراتيجية ومحطة التقاء للقوى العظمى.
- يحتل مكانة كبيرة في الساحة السياسية والأكاديمية.

ب- أهمية عملية

- تمثل هذه الدراسة إحدى المواضيع الحديثة التي تعالج للجيوبولوتيك بالنظر إلى قلة الدراسات والأدبيات حول الموضوع والتطرق إلى أهم التغيرات والأزمات التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط والعلاقات البريطانية من أجل تحقيق مصالحها من جهة وتحقيق أمنها من ناحية أخرى.
- معرفة أهم العوامل الجيوبوليتيكية الكامنة وراء تنامي دور وقوة الدولة البريطانية.

2- أهداف الدراسة

تقسم أهداف هذه الدراسة في أهداف علمية وأخرى عملية:

- التعرف على المضامين المفاهيمية والنظرية للجيوبوليتيك.
- الدور الدولي والإقليمي لبريطانيا والأهمية الجيو سياسية لمنطقة الشرق الأوسط.
- تمثل بريطانيا نموذج مميز لواقع الجيوبوليتيك، لذلك تم دراستها كنموذج باعتبار أن لها ميزات محورية (حيوية).
- علاقات بريطانيا بعد انفصالها من الاتحاد الأوروبي في منطقة الشرق الأوسط.

3- أسباب اختيار الموضوع

التطرق لهذا الموضوع جاء نتيجة عدة عوامل فتحت لنا باب البحث فيه بطريقة علمية وتتمثل في أسباب ذاتية وأخرى موضوعية وهي كما يلي:

أ- الأسباب الذاتية: تقدم هذه الدراسة كإسهام علمي جديد لإثراء مكتبة العلوم السياسية بمرجع جديد وذلك للإحاطة علما أن الاهتمام بهذا الموضوع من الناحية الأكاديمية يعود إلى عزوف العالم العربي بمراكز بحوثه ونخبه السياسية عن الاهتمام بوحدة من أكبر دول العالم التصاقا بالتاريخ والجغرافيا والأمن العربي.

يعود إلى الرغبة في محاولة التدريب على الربط المنطقي للأدوات العلمية التي استفدنا منها في حقل العلاقات الدولية، بالظواهر الدولية المتنوعة لكسب مهارة التحليل العلمي والبحث العلمي.

ب- الأسباب الموضوعية: يقدم هذا الموضوع نظرة تحليلية للأسباب والدوافع التي تتحرك وتتحكم في سلوكيات الدولة البريطانية على المستوى الدولي، لإعطاء صورة تفسيرية منطقية لبروز قوى دولية ذات أدوار فاعلة وأخذ تلك الاستنتاجات وتطبيقها على الحالات والنماذج وكذلك النظرة الموضوعية للموضوع لدولة لها أهمية بمكان على مختلف دول العالم.

4- الدراسات السابقة

تم تناول الدراسة من عدة باحثين بشكل جزئي أو كلي، ومن أهم هذه الدراسات ما يلي:

أ- كتاب محمد رياض الموسوم بـ: الأصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا، مركز الهنداوي للتعليم والثقافة سنة 2012، والتي عالجوا فيها من خلال قسمين: القسم الأول تناول أصل السياسة والجيوبوليتيكا وأهم مؤسس الجغرافيا السياسية، أما الباب الثاني فتناول الشرق الأوسط وبعض مقوماته والأهمية الجيوسياسية له، باعتباره منطقة استقطاب لكثير من القوى العظمى أو الإقليمية.

ب- تقرير بعنوان: الاستراتيجيات الجديدة في الشرق الأوسط للباحث "أولبرايت هادلي" حيث تناول هذا التقرير أهم القوى الدولية والإقليمية في منطقة الشرق الأوسط وذلك من أجل تحقيق مصالحها.

ج- مذكرة ماجستير لطايل يوسف عبد الله بعنوان: الإستراتيجية الإقليمية لكل من تركيا وإيران في منطقة الشرق الأوسط للفترة (2002-2003) وبيان أثر البيئة الإقليمية والدولية على طبيعة الإستراتيجيات الإقليمية في المنطقة والتحول التي شهدتها المنطقة والتي بدورها هي الأخرى أثرت في تلك الإستراتيجيات.

5- حدود الدراسة

بما أن الموضوع سيتم التطرق فيه إلى البعد الشرق أوسطي في الجيوبوليتيك الدولي من خلال إبراز دور العوامل الجيوبوليتيكية في منطقة الشرق الأوسط بجعلها نقطة استقطاب وانطلاقا من أن لكل مشكلة بحثية حدود مكانية وموضوعية، يستلزم ذلك تحديد الإطار الزماني والمكاني لهذه الدراسة استجابة للمتطلبات المنهجية والعلمية.

- **الإطار الزمني:** على الرغم من أن الجيوبوليتيك لديها مفهوم أصيل/ تاريخيا ساهم في إعطائها دور كبير في الساحة الدولية ويركز على الفترة الزمنية القديمة من خلال دراسة تاريخ الشرق الأوسط وظهور هذا المصطلح، ودور العوامل الجيوبوليتيكية في إعطاء هيمنة لدولة بريطانيا وكذلك تتبع الأحداث الجديدة لانفصال بريطانيا عن الاتحاد الأوروبي.

- **الإطار الزمني:** إن محور دراسة الجيوبوليتيك يرتكز على منطقة الشرق الأوسط التي تمثل العمق الإستراتيجي للقوى العظمى، وذلك بإبراز دور عوامل القوة البريطانية وأهميتها الجيو سياسية والاقتصادية وهذا ما زادها قوة في الساحة الدولية.

6- الإشكالية

تعالج هذه الدراسة إشكالية البعد الشرق أوسطي في الجيوبوليتيك الدولي وتعد من أبرز الإشكاليات المطروحة خاصة ومساهمة العناصر الجيوبوليتيكية في تحديد قوة الدولة البريطانية وعليه يمكن طرح الإشكال التالي:

كيف يمكن أن نفهم مساهمة العوامل الجيوبوليتيكية في توجيه اهتمام القوى الدولية اتجاه إقليم معين، انطلاقا من الدور البريطاني التاريخي في الشرق الأوسط؟

انطلاقا من هذه الإشكالية يمكن تفكيكها إلى عدة تساؤلات فرعية:

- فيما تتمثل أبرز مضامين الجيوبوليتيك المفاهيمية والنظرية؟
- ما هي أبرز العوامل الجيوبوليتيكية التي جعلت الشرق الأوسط محطة استقطاب؟
- ما هي دوافع انفصال بريطانيا عن الاتحاد الأوروبي وتأثيرها على علاقاتها في الشرق الأوسط؟

7- الفرضيات

للإجابة على الإشكالية المتعلقة بالدراسة نقوم بصياغة الفرضيات التالية:

- تلعب العوامل الجيو سياسية لمنطقة لشرق الأوسط دورا هاما في القوة البريطانية التاريخية.
- تؤثر المتغيرات الدولية والإقليمية الجديدة على علاقات بريطانيا بالشرق الأوسط.

8- المناهج المعتمدة

بحكم طبيعة هذه الدراسة والقضايا التي يثيرها موضوع البعد الشرق أوسطي في الجيوبوليتيك الدولي يتطلب توظيف المناهج التالية:

أ- **المنهج الوصفي**: يستخدم هذا المنهج في العلوم الاجتماعية بصفة عامة والعلوم السياسية بصفة خاصة ويتعلق هذا المنهج بالمستوى الأول من مستويات البحث العلمي ويقوم على وصف الظاهرة المدروسة، وقد تم الاعتماد عليه في هذه الدراسة من خلال التطرق إلى أهم مفاهيم الجيوبوليتيك لكل من منطقة الشرق الأوسط والدولة البريطانية.

ب- **منهج دراسة الحالة**: تكمن أهميته في الجانب التطبيقي للدراسة فهو الأداة الأنسب لتحقيق الترابط الوظيفي بين النظرية والتطبيق ويتمثل استخدامه من خلال مجموعة من التفاصيل والبيانات التي تتعلق بالعوامل الجيوبوليتيكية في دولة بريطانيا كدراسة حالة لهذا الموضوع.

ج- **المنهج التاريخي**: يقوم هذا المنهج على تتبع الظاهرة المدروسة ويهدف إلى تفسير مجموعة الأحداث التاريخية والكشف عن العوامل التي أدت إلى هذه الأحداث وبالتالي فإن هذا الموضوع يتطلب الوقوف على أهم الوقائع والأحداث التاريخية حول منطقة الشرق الأوسط والعلاقات البريطانية في هذه المنطقة.

د- **المنهج المقارن**: يقوم هذا المنهج على مقارنة الأحداث ظهور مصطلح الشرق الأوسط قبل الحرب الباردة وبعدها، وكذلك علاقات بريطانيا قبل انفصالها عن الاتحاد الأوروبي وبعد الانفصال والتغيرات السياسية التي طرأت في منطقة الشرق الأوسط.

9- تقسيم الدراسة

استناداً إلى الإشكالية المطروحة والفرضيات الموضوعية سيتم تقسيم الدراسة وفقاً للبناء المنهجي التالي:

الفصل الأول: سيتم فيه مناقشة الإطار المفاهيمي والنظري للجيوبوليتيك الدولي، ويتكون من مبحثين المبحث الأول: مقارنة مفاهيمة للجيوبوليتيك، المبحث الثاني: يتطرق لأهم التطورات النظرية للجيوبوليتيك.

الفصل الثاني: يتضمن دراسة جيوسياسية لمنطقة الشرق الأوسط ويتكون من ثلاث مباحث، المبحث الأول: الحدود الأنطولوجية للشرق الأوسط، المبحث الثاني: المقومات الجيو سياسية لمنطقة الشرق الأوسط، أما المبحث الثالث: فيركز على الاستقطاب الدولي والإقليمي في منطقة الشرق الأوسط.

الفصل الثالث: مركزية منطقة الشرق الأوسط في الجيوبوليتيك البريطاني، ويتضمن ثلاثة مباحث، المبحث الأول يتضمن مرتكزات القوة البريطانية في منطقة الشرق الأوسط، المبحث الثاني ويحتوي على العلاقات البريطانية مع القوى الشرق أوسطية والمبحث الثالث يركز على أهم الرؤى المستقبلية لبريطانيا في الشرق الأوسط.

9- صعوبات الدراسة

عند محاولتنا البحث في هذه الدراسة واجهتنا العديد من الصعوبات أهمها:

- عدم وجود أي دراسة تحدثت عن هذا الموضوع؛
- التقيد بعدد الأوراق رغم تضمن هذا الموضوع الكثير من المتغيرات
- نقص المراجع التي تناولت هذا الموضوع.

الفصل الأول :

الإطار المفاهيمي والنظري

للجيوبوليتيك الدولي

تعد الدولة من الظواهر الجغرافية المتفردة، ولكي تصبح وحدة أساسية متماسكة في الداخل وقوة لها اعتبارها في الخارج، فالمساحة وكثافة السكان وغنى الدولة وانتشار العمران من العوامل الجيوبوليتيكية المهمة لأي دولة.

والجيوبوليتيك تعني فعالية السياسة بهدف تحقيق القوة على المستوى الإقليمي أو الدولي، وتعد الأفكار الجيوبوليتيكية قديمة قدم الفكر الإنساني في حضاراته العليا القديمة وتطور هذا الفكر عبر عدة عصور. ولقد اهتم بالجيوبوليتيك العديد من الباحثين والدارسين والمتخصصين من أجل تحقيق بعض المصالح والأهداف لدولهم مما أدى إلى ظهور مجموعة من المدارس والنظريات التي تختلف مطلقاً أمثال فريدريك راتزل وألفريد ماهان و هالفورد ماكيندر.

والعوامل الجيوبوليتيكية لها دور كبير وفعال في تحديد قوة الدولة.

المبحث الأول: مقارنة مفاهيمية للجيوبوليتيك

لا يمكن فهم المصطلحات والكلمات دون الوقوف على مدلولاتها ومفاهيمها وانطلاقاً من هذا سنحاول التطرق لمصطلح الجيوبوليتيك.

المطلب الأول: مفهوم الجيوبوليتيك

– التعريف اللغوي:

يتكون مصطلح الجيوبوليتيك من لفظين **Géo** والتي تعني الأرض و **Politics** والتي تعني السياسة.

– التعريف الاصطلاحي:

الجيوبوليتيك تعني علم سياسة الأرض وهو ثمرة لعلمي الجغرافيا والسياسة.¹

* **الجيوبوليتيك**: لا تخرج عن طبيعتها عن دراسة الحقائق الجغرافية وعلم السياسة التطبيقي، إذن هذه الحقائق لا يمكن فصلها عن دراسة العلاقات الدولية.

* **الجيوبوليتيك**: هي العلم الذي يختص بدراسة المناطق المنتظمة سياسياً.²

ومن أهم التعاريف التي وردت لدى العديد من المفكرين والباحثين ما يلي:

1- تعريف ماويل "Maul": الجيوبوليتيك تختص بالمتطلبات المكانية بينما توجه الجغرافيا السياسية اهتمامها لتحليل ظروفها المكانية.³

2- تعريف رودلف كيلين "Rudoolf Kiellen": الجيوبوليتيك أو الجيوبوليتيكس بأنها نظرية الدولة ككائن جغرافي أو ظاهرة تشغل حيزاً من الأرض.⁴

3- تعريف أتوماول "Otto maul": تعني الجيوبوليتيك بالدولة باعتبارها كائناً حياً، وليس من خلال مفهوم ساكن، والجيوبوليتيك تبحث وراء علاقة الدولة بالبيئة، مساحتها، ثم تحاول أن تعالج تلك المشكلات الناتجة عن العلاقات المساحية.⁵

¹ محمد رزيق، والجيوبوليتيكا: المفاهيم والدلالات – المدارس والنظريات، (الجزائر: دار قرطبة، 2014)، ص 45.

² محمد حجازي محمد، الجغرافيا السياسية، (القاهرة: كلية الآداب، 1996، 1997)، ص 15.

³ يسرى الجوهري، الجغرافيا السياسية والمشكلات العالمية، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1993)، ص 15.

⁴ نوار محمد ربيع الخيري، مبادئ الجيوبوليتيك، (دمشق: دار عدنان للنشر والتوزيع، 2014)، ص 33.

⁵ فايز محمد العيسوي، الجغرافيا السياسية المعاصرة، ط2، (مصر: دار المعرفة الجامعية، 2000)، ص 33.

4- تعريف هاوسهوفر "Haushofer": والجيوبوليتيك تدرس الدولة من وجهة نظر الدولة.¹

5- تعريف محمد متولي ومحمد أبو العلاء: إنها جغرافية الدول أو الوحدات السياسية ومهمتها دراسة كل دولة من دول العالم كوحدة لها كيانها السياسي الخاص، ولها صفاتها المميزة ولها أهميتها من حيث مقدرتها على المساهمة في المحافظة على الأمن العالمي.²

6- تعريف مجلة العلوم السياسية "التي كان يرأس تحريرها هوسهوفر بأنها: العلم الذي يبحث عن العلاقة بين الأحداث السياسية والأرض فهو يربط السياسة بالأرض، وهي تعتمد بذلك على الأسس الجغرافية".³

المطلب الثاني: الفرق بين الجيوبوليتيك ومفاهيم أخرى

عادة ما تتداخل كلمة الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك، بالرغم من اختلاف مدلول الكلمتين، وهو ما يمكن توضيحه على النحو التالي:

1- الجيوبوليتيك والجغرافيا السياسية

أ- الجيوبوليتيك: ترسم خطة لما يجب أن تكون عليه الدولة، بينما تدرس الجغرافيا السياسية كيان الدولة الجغرافي بعناصره المختلفة (حجمها، مساحتها، مظاهر سطحها، السكان والحدود السياسية).⁴

ب- الجيوبوليتيك: تضع تصور لحالة الدولة في المستقبل، بينما الجغرافيا السياسية ترسم صورة الماضي والحاضر.

ج- الجيوبوليتيك: تتسم بالتطور والحركة.

* الجغرافيا السياسية: تميل إلى الثبات أي أن الجغرافيا السياسية تنظر إلى الدولة كوحدة إستاتيكية، في حين الجيوبوليتيك تعدها كائنا عضويا في حركة متطورة.⁵

د- الجيوبوليتيك تحاول وضع الجغرافيا وحقائقها في خدمة الدولة.

- تعنى الجغرافيا السياسية بالمعلومات والإحصاءات الدقيقة للموارد الدولية والأنشطة الاقتصادية المؤثرة في السياسة الدولية.

¹ - المرجع نفسه، ص ص 33، 34.

² - محمد متولي ومحمد أبو العلاء، الجغرافيا السياسية، (مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، د س ن)، ص 09.

³ - محمد عبد الغني سعودي، الجغرافيا السياسية المعاصرة، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 2010)، ص 21.

⁴ - محمد رزيق، المرجع السابق، ص 20.

⁵ - كامل أبو ظاهر، والجيوبوليتيك والجغرافيا السياسية، (د د ن، 2012)، ص 03.

هـ- الجيوبوليتيك: تركز على الظواهر السياسية لتعطيها تفسيراً جغرافياً وتدرس الطابع الجغرافي لهذه الظاهرة.¹
 - الجغرافيا السياسية تدرس الحقائق الجغرافية التي تسهم في تكوين سياسة الدولة.

2- الجيوبوليتيك والإستراتيجية

الجيوبوليتيك لا تعني أنها مرادفة للإستراتيجية لأن الجيوبوليتيكا تساعد على تشكيل أغراض العمل السياسي وفي نفس الوقت تقترح الوسائل التي يمكن بها تنفيذ العمل.

- الإستراتيجية في معناها العام القيادة في فن استخدام القوة، أو بمعنى آخر هي فن القيادة في الحرب بأجمعها.
- تتضمن الخطط العامة لإعداد المعارك، وقد اشتقت من كلمة "ستراتيجوس" اليونانية بمعنى القائد.
- ويختلف مفهوم الإستراتيجية عن التكتيك الذي هو فن القيادة على أرض المعركة ذاتها.²
- فإذا كانت الإستراتيجية هي التخطيط الذي يوضع لخوض كل معركة على حدا.
- والإستراتيجية العامة ترمي إلى دراسة ومعالجة مجمل الحرب أو الصراع بغرض توجيه كل القوى والوسائل المساهمة فيها.³

- الإستراتيجية: هي مجموعة من الأهداف والغايات طويلة المدى والتي يتبعها المجتمع أو الفرد، وهي تطلق أحياناً على الغايات ذات الطبيعة الأساسية والأهداف المحددة، وقد تركز الإستراتيجية على أحدهما أو كلاهما.⁴
- الإستراتيجية: ترجع إلى أصلها المشتق من اللغة الإغريقية، فهناك من ينسبها للمفردة **Strato** وتعني الجيش، وهناك من يرجعها للمفردة **Strategos**، وتعني فن القيادة.
- ويضل من يشتقها من المصطلح **Strategem** ليعني بها الخدعة القتالية.⁵
- يرجع استخدام مصطلح الإستراتيجية إلى الإغريق حيث تميز حياتهم الحرب والقتال وهذه الكلمة من حيث المضمون كانت تشير عندهم بفن القائد، وتعني عندهم فن الأشياء العامة.

¹- معين حداد، قضايا الهوية والانتماء الجغرافيا والسياسة، (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2006)، ص 133.

²- محمد رزيق، المرجع السابق، ص 46.

³- الأميرال بيبير سيليريبي، الجغرافيا السياسية-الجغرافيا الإستراتيجية، ترجمة أحمد عبد الكريم، (دمشق: دار الأهالي للطباعة والنشر، 1988)، ص 89.

⁴- إسماعيل عبد الفتاح، معجم المصطلحات السياسية والإستراتيجية، (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2008)، ص 27-28.

⁵- عامر خضير الكبيسي، مدخل لدراسة الإستراتيجيات، (القاهرة، منشورات العربية للتنمية الإدارية، جامعة الدول العربية، 2010)، ص 06.

– الإستراتيجية: عملية فكرية منضبطة ذات مخرجات وغايات وطرائق ووسائل محددة بوضوح.
– نخدم الهدف السياسي الوطني، وتخدم السياسة في إطار التقلبات والتعقيدات والهواجس وفي ظروف غموض البيئة الإستراتيجية.¹

– غرض الإستراتيجية ترجمة الغرض السياسي (الهدف الوطني والمصالح القومية، ودليل السياسية إلى تأثيرات إستراتيجية تشكل البيئة على النحو المفضل).²

المطلب الثالث: تطور الجيوبوليتيك عبر العصور

تعد الأفكار الجيوبوليتيكية قديمة قدم الفكر الإنساني في حضاراته القديمة ولعل أقدم فكرة صريحة وصلت إلينا هي أفكار أرسطو.

1- عند الإغريق

يعتبر الفيلسوف الإغريقي "أرسطو" أن: موقع اليونان الجغرافي في الإقليم المعتدل "المناحي" قد أهل الإغريق إلى السيادة العالمية على شعوب الشمال "البارد" والجنوب "الحار" (أرسطو في كتاب السياسة) على أية حال، فإن الجيوبوليتيكا تخدم كافة الأغراض العلمية والعملية، من وجهة النظر المشار إليها سابقا على شرط ألا يشوه الكاتب عمدا تفسيره ونظرته إلى الأوضاع الجغرافية.³

ولهذا والجيوبوليتيكا الإغريقية ترتبط بأقاليم مناخية عامة وعالمية حسب أرسطو، فالفكر الإغريقي انبنى على فكر نظري في مجموعه.

فالإغريق لم يكونوا دولة بالمعنى المفهوم، إنما دويلات تلتئم في تركيب حضاري شامل أساسه الاقتصادي التجارة البحرية الواسعة.⁴

2- عند الرومان

سترابو (64 ق.م-20م) وهو إغريقي الأصل وهو أول من أشار أن القوى العالمية مركز في الأقاليم القارية الكبرى وليس الأطراف البحرية للقارات وبالتالي أوضح دور البيئة الطبيعية على النشاط البشري.

¹ - أحمد نوري النعيمي، السياسة الخارجية، (عمان: دار زهران للنشر والتوزيع، 2011)، ص 35.

² - هاري آر يارغر، الإستراتيجية ومحترفوا الأمن القومي، ترجمة راجح محرز علي، (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث، 2011)، ص 26.

³ - محمد رياض، الأصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا، (مصر: دار هندواي للنشر والتوزيع، 2012)، ص 52.

⁴ - المرجع نفسه، ص 55.

وكذلك أوضح أن الرومان اهتموا بصفة خاصة بالقياس وحساب المسافات، كذلك اهتم الرومان بالخرائط لكنها كانت عبارة عن خطوط مستقيمة تمثل الطرق وعليها سلسلة من الأسماء.¹

وتعد الإسكندرية لها دور كبير في العصر الروماني حيث تعتبر من أغنى المدن التجارية وملتقى التجار والرحالة، فكانت المركز الأول للإعلام والأخبار الجغرافية، وكانت محل استقطاب لأعلام الجغرافيا أمثال سترابو وويلين، ومارينوس الصوري وبطليموس القلودي.

وقد استنتج سترابو بعد دراسة الإمبراطورية الرومانية أن الوحدة السياسية الكبرى تتطلب حكومة مركزية قوية يرأسها حاكم بمفرده.²

وقد رأى الجغرافي الروماني سترابو أن القوى العالمية مركزة في الأقاليم القارية الكبيرة وليس الهوامش البحرية، وأن أوروبا هي مركز هذه القوى.

وكذلك يؤكد أن الجزء المسكون من العالم يتكون من ثلاث كتل قارية هي أوروبا وليبيا وآسيا حيث يقول أن أوروبا هي الأكثر ملائمة للنمو والازدهار الفكري والاجتماعي وبالتالي هي مركز القوة.

وقد رفض الجغرافي "بطليموس" فكرة أن هناك محيط كامل من البحار حول جزيرة الأرضية وجعل الأرض تمتد شمالا وجنوبا وشرقا في أراضي مجهولة، وقد كان الجغرافيون القدامى يتخذون مظهرها طبيعيا واحدا على أنه حد لإقليم من الأقاليم.

لكن الجغرافي "بلييني Pliny" الكبير رسم صورة جيوبوليتيكية فريدة للإمبراطورية الرومانية متخذًا طرق الحركة البرية والبحرية لتحديد الإمبراطورية الرومانية.³

3- عند المسلمين

في العهد الإسلامي نجد الجغرافيون العرب يهتمون أساسا بالجغرافيا الوصفية والإقليمية والفلكية ورسم الخرائط، ولكن في إطار الجغرافيا الإقليمية لكل دولة أو إقليم على حد، كانت تبرز المعالجات المختلفة القدر لموضوعات الجغرافيا السياسية وعلى وجه العموم فإن النظرة الجيوبوليتيكية الإسلامية عامة موجهة نحو السيطرة القارية السياسية والسيطرة التجارية.

¹ - محمد محمود محمدين، الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، (الإسكندرية: دار الخريجي للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1996)، ص 121.

² - المرجع نفسه، ص 121.

³ - عدنان صافي، الجغرافيا السياسية بين الماضي والحاضر، (الأردن: مركز الكتاب الأكاديمي للنشر والتوزيع، 1999)، ص ص 67، 69.

وبهذا نستطيع أن نقول أن ثمة اختلاف بين الإمبراطورية الإسلامية في أوجهها والإمبراطورية الرومانية، ولكن هذا الاختلاف يرتبط بموقع القلب والتوجيه القاري.

فروما كان تركز على العالم الآفروآسيوي والمحيط الهندي وبذلك كانت القاعدة الإسلامية الكبيرة وامتداداتها الأرضية شاملة لمسطح أرضي وبحري واسع بالمقارنة بروما.

حيث نجد النظرة الجيوپوليتيكية الموجهة نحو الحضارات العليا في الشرق الأوسط والعالم الإسلامي قد تغيرت جزئياً على إثر الكشوف الجغرافية وتحول مركز القوى إلى أقاليم.¹

تعتبر القاعدة الإسلامية كبيرة شاملة لمسطح أرضي بحري حيث الطرق البرية والبحرية كانت عصب الامتداد الإمبراطوري، المسلمون اهتموا بالفلك ورسم الخرائط وقد ظهرت موضوعات الجغرافيا السياسية في إطار الجغرافيا الإقليمية وعلى مستويات متباينة.²

4- عند الغرب

نتيجة للكشوفات الجغرافية الكبرى (كولبس، غاما، ماجلان) تغيرت النظرة الجيوپوليتيكية القارية وتحول مركز القوى³ إلى أقاليم الهامش الأوروبي الغربي في البرتغال، إسبانيا، هولندا ثم فرنسا وبريطانيا، وبناء على ذلك تطورات السيطرة البحرية.

جاءت محاولات والجيوپوليتيكا الحديثة تسير مع تطور العلوم الجغرافية، وقد كان الفيلسوف الألماني "إيمانويل كانط" أول من عالج من المحدثين هذا الموضوع السياسي العالمي، فأعرب من اعتقاده بأن وجود الدولة العالمية أمر مؤسس على طبيعة الأشياء وقد أيد هذا الاعتقاد بالأدلة التالية:⁴

أ- أن الطبيعة قد أهملت الإنسان نتيجة استمرار الحروب، مما أدى إلى سكن الناس في معظم الجهات القابلة للسكن.

ب- أن الطبيعة قد حبت الإنسان بإمكانية السكن والعيش في كل أجزاء العالم.

ت- أن العاملين السابقين معا قد أجبروا الإنسان على أن ينهي حروبه دائماً بعقد الصلح وإقامة السلام، ولقد رأى كانط أن الدولة الأوروبية دائمة الحروب.

¹ - محمد رياض، المرجع السابق، ص 58.

² - هيد لزهرة شلش العتايي، الوزن الجيوپوليتيكي للإسلام، مجلة الأستاذ، م2، ع 205، (2013)، ص 78.

³ - صلاح الدين الشامسي، دراسات في الجغرافية السياسية، (الإسكندرية: منشأة المعارف، ط2، 1999)، ص 21.

⁴ - المرجع نفسه، ص 22.

وعلى عكس الاتحاد العالمي للدول كما رآه كانظ في صورة الدولة العالمية، فإن مؤسسي الجغرافيا الحديثة قد أكدوا على مفهوم الإقليمية المرتبطة بالأنماط الإقليمية، وقد أصبحت هذه الأفكار أسس والجيوبوليتيكا الحديثة.¹

أما دراسات والجيوبوليتيكا الألمانية سمحت بتحقيق فهم أكثر عمقا لنشأة وتطور سياقات وأهمية الجيوبوليتيك في ألمانيا خلال عهد فايمر وخلال الفترة النازية، كما ساعدت في التعرف على الطرق التي أضفت بها النازية الشرعية السياسية على الجيوبوليتيك فضلا عن إدراك التهميش النهائي للحركة بسبب شكوك المنظرين العنصرين المتشددين للرايخ الثالث.²

وهناك أيضا مفاهيم مختلفة لتوزيع الأفكار الجيوبوليتيكية في عالم ما بين الحربين وإعادة مناقشتها في عدد من الدول، فمثلا حققت الجيوبوليتيكا درجات متفاوتة من النجاح في فنلندا (1990) والسويد (1992) واليابان (1994)، وهناك دراسات حول النقد الفرنسي للجيوبوليتيك الألماني، وجهود صياغة والجيوبوليتيكا الفرنسية، وتوضح دراسات حديثة كيف أن كل من الجيوبوليتيكات الألمانية والفرنسية كانتا تقرأ في إيطاليا الفاشية، حيث تركز الدراسات الحديثة للعلاقات بين الجغرافيا والدولة والجيش على نقطة مهمة وهي التفكير في نتائج المعارف والجيوبوليتيكا في الماضي والحاضر.³

¹ - محمد رياض، مرجع سابق، ص 58.

² - كلاوس دودز، وديفيد أتكينسون، الجغرافيا السياسية في مئة عام: التطور الجيوبوليتيكي العالمي، ج1، تر: عاطف معتمد وعزت زيان، (مصر: المركز القومي للترجمة، 2010)، ص ص 20-21.

³ - كلاوس دودز، وديفيد أتكينسون، مرجع سابق، ص 21.

المبحث الثاني: التصورات النظرية للجيوبوليتيك البريطاني

حظيت الجيوبوليتيك باهتمام الباحثين والعلماء والمتخصصين ورجال الدولة الذين انكبوا لدراساتهم وتطويرها بهدف تحقيق المصالح العليا لدولهم مما أدى إلى ظهور العديد من المدارس والنظريات التي تنوعت رؤاها نظرا لاختلاف منطقاتها وغاياتها ويمكن إبراز ذلك من خلال ما يلي:

المطلب الأول: نظرية المجال الحيوي "Living Space" (فريدريك راتزل)

ترتبط هذه النظرية بالمفهوم الجيوبوليتيكي، وهو أن الدولة كالكائن الحي، كما أنها تتماشى مع فكرة الحتمية للظواهر الجغرافية، التي تشكل خصائص وسلوك المجتمعات البشرية وكان فريدريك راتزل الألماني هو الذي أسس هذه الفكرة أو النظرية الذي عاش للمدة (1844-1904).

وقد أكد راتزل على المساحة "Raun" والموقع "Lage" وطبيعة الحدود السياسية "Grenjen" واعتقد أن المجال الإقليمي يؤثر في قوة الدولة كما أنه يعتمد في حجمه على هذه القوة وأمن بان المساحة الكبيرة ضرورة لنمو الكائن الحي، ويضفي الموقع صفات مميزة على المساحة، أما الحدود فهي جلد الكائن الحي وهي علامة النمو أو الاضمحلال.¹

وقد حدد فريدريك راتزل في كتابه حول "قوانين تطور الدولة في المجال" 1901 سبقه قوانين للتوسع وهي كما يلي:

- امتداد الدول يتسع وفا لتطور ثقافتها، فكلما انتشر السكان ومعهم ثقافتهم الخاصة زادت رقعة الأرض الجديدة التي ينتشرون فيها في مساحة الدولة.
- إن نمو الدولة يظل مستمرا حتى تصل إلى مرحلة الضم أو الاندماج وذلك بإضافة أقاليم صغرى إلى رقعتها الأصلية ويجب أن يتم امتزاج² الأرض بمن عليها من السكان إذا ما أريد إتمام عملية استيعاب المناطق الجديدة.
- أن حدود أي دولة هي العضو المغلق لها أو المحيط بها وهذه الحدود لا تحدد مدى ضمانة ولا سلامة الدولة وسيادتها بحسب بل إنما تحدد مدى نموها.

¹ - صبري فارس الهيتي، الجغرافيا السياسية مع تطبيقا جيوبوليتيكية، (عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2000)، ص 179.

² - عبد الحكيم سليمان وادي، الإطار المفاهيمي والنظري لعلم الجيوبوليتيك، (فلسطين: مركز راشيك كوري لحقوق الإنسان ومتابعة العدالة الدولية، 2012)، ص ص 28-29.

- إن الدولة في نموها تسعى إلى امتصاص الأقاليم ذات القيمة السياسية وهذه قد تكون سهولا وأهوارا أو مناطق غنية بثرواتها المعدنية أو ذات أهمية في إنتاج الغذاء.
- إن نماء الدولة عملية لاحقة لنمو سكانها وانتشارهم هذا النمو والانتشار الذي يجب أن يتم قبل أن تشرع الدولة في التوسع.
- إن التوسع الأرضي يأتي للدولة البدائية من الخارج فالدول ذات المستوى التقدمي الرفيع تجس برغبتها لزيادة سكانها ذوي الحالة الطيبة، لذلك فهي تغزوا المناطق البدائية وتنقل أفكارها.
- الاتجاه العام للتوسع ينتقل من دولة لأخرى ثم يتزايد ويشتد.¹
- ومما تقدم نجد أن راتزل في نظريته للمجال الحيوي أعطى أهمية كبيرة وخاصة للحدود السياسية ومن هنا تلعب المسافة أو الرقعة الكبيرة والموارد الموجودة دورا مهما في بناء القوة السياسية للدول.
- ومن هذا نجد أن نظرية الجيوبوليتيكية جاءت لخدمة مصالح ولتحقيق أطماعها على حساب الدول الأخرى وبشكل عنصري.

ففي رأي راتزل أن المسطح الكبير - المكان، هو طاقة سياسية يمكن أن تظهر وتبرز مع حسن استخدامها.

ويمكننا أن نختم الكلام عن راتزل بأنه أول من أدرك تعقيد حياة الدولة ووظائفها.²

المطلب الثاني: نظرية القوى البحرية لألفريد ماهان

يعتبر ألفريد ماهان (1914-1940) رجل عسكري لم يستخدم مصطلح جيوبوليتيك، إلا أن منهج تحليله والنتائج التي توصل إليها تتطابق والرؤية الجيوبوليتيكية، وقد استمد ماهان نظريته من تجاربه وخبرته كرجل بحر لذلك كانت القوة البحرية باعتبارها مستقبل البشرية.

ويرى ماهان أن التجارة هي الهدف الأول للعملية السياسية وأن العمل العسكري هدفه تأمين التجارة، أما الأسطول البحري الحربي فلا دور له سوى ضمان تحقيق هذه التجارة، وأن أنجع طريقة لتحقيق ذلك هو إنشاء مواقع إستراتيجية لحماية طرق الملاحة، ويرى ماهان أن القوة البحرية أساس قوة الدولة وأن أي دولة

¹ - عبد الحكيم سليمان وادي، مرجع سابق، ص ص 29-30.

² - علي أحمد هارون، أسس الجغرافية السياسية، (القاهرة: دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، 1998)، ص 35.

تريد السيطرة على العالم يجب أن تتحكم في قوة بحرية كبيرة ويجب أن تكون لها السيطرة على البحار، وبرأيه أن الدول البحرية هي التي ستسود العالم في النهاية.¹

وقد حدد ماهان ستة عوامل أساسية في تكوين القوة البحرية للدول وفي ضوءها يمكن تقدير إمكانية كل دولة في هذا المضمار وهذه العوامل هي:

1- **الموضع الجغرافي للدولة:** هناك عدة مفاهيم هامة تحدد القوة البحرية مرتبطة بالموقع هي:²

- واجهة أو أكثر على أحد البحار المفتوحة، وتزداد القوة البحرية للدولة إذا كان هذا الموقع يوفر للدولة المميزات المتعلقة بالتحكم في طرق التجارة الهامة، أو الإشراف على المضائق وأيضا القواعد التي من خلالها احتواء العدو أو تهديده.

- مدى الحدود الأرضية، فالموقع الذي يفرض حدودا أرضية طويلة اعتبره ماهان موقعا أقل أهمية في حين أن الموقع الجزيري بالنسبة له يعتبر ذا قيمة عظيمة.

2- **الشكل الطبيعي للدولة:** ويقصد به ماهان شكل الخطوط الساحلية للدولة، وعلى حد قوله: "إن الأراضي المحلية المطلة على البحر هي حدود للدولة، وكلما كانت هناك سهولة للوصول من هذه الحدود إلى البحر كلما زادت رغبة الأفراد في الاتصال بباقي العالم عبر البحر".³

3- **الامتداد المساحي للدولة (Extent of territory):** قصد ماهان بذلك طول الشريط الساحلي للدولة وقدرته الدفاعية ضد الغزو، ومن ضمن العوامل التي اعتبرها هامة هي قوة الدفاع عن الواجهات البحرية الطبيعية للموانئ والمرافئ على السواحل، ويزداد العمق الدفاعي بوجود مساحة متسعة من الدولة.

4- **حجم السكان:** يعد حجم السكان بالنسبة لماهان أحد العوامل الهامة المحددة للقوة بحريا، حيث إن الدولة ذات الحجم السكاني الكبيرة تستطيع أن تمتلك القواعد والمستعمرات عبر البحار والتي تحتاج إلى أعداد كبيرة من الجنود الإداريين.⁴

¹ - جاسم سلطان، جيوبوليتيك الجغرافيا والحلم العربي القادم، (لبنان: تمكين للأبحاث والنشر، 2013)، ص 64.

² - لورا محمود، "الجيوبوليتيك جغرافية السياسة أم إستراتيجية الساسة"، مجلة البناء، ع 628، (فيفري 2017)، ص 09.

³ - المرجع نفسه، ص 09.

⁴ - الخليج الجديد، الجيوبوليتيك شغف العصر وقاموسه، (السعودية: الخليج الجديد، 2016)، ص ص 5-6.

5- توجه السكان البحري: قصد ماهان بذلك مدى استعداد الأفراد للإبحار والتجارة، فإذا لم يكن للأفراد قابلية الحصول على الغذاء من البحر وإقامة معاملات تجارية مع العالم الخارجي، فلن يستطيعوا بناء قوة بحرية واعتبر ماهان أن التجارة فيما وراء البحار هي الخطوة الأولى في تطوير القوة البحرية.

6- مما لاشك فيه أن الحكومات ذات الإدارة القوية، والتي تتمتع ببعده النظر تلك التي تعطي اهتماما للبحار عليها بنفس قدر اهتمامها بامتدادها على اليابس لأن البحر يمثل مصدر رخاء واستقرار ودفاع وأمن للدولة.

كان لماهان تأثير كبير في تطوير القوة البحرية لكل من بريطانيا وألمانيا واليابان، وقد أثرت أفكار ماهان في بسط السيادة البحرية للدول، وساهمت كتاباته بشكل كبير في تشكيل فكر الجغرافيين الأمريكيين.¹

تعد الحالة البريطانية الأكثر اهتماما، فقد استفادت إنجلترا حتى القرن العشرين من موقعها الهام لمركزيتها بالنسبة للمحيط الأطلسي والبحار الأخرى التي تسبح أوروبا فيها والتي سمحت للأسطول البريطاني بالقيام بعمليات ضد أية قاعدة معادية من دون الابتعاد كثيرا عن قواعده، وقطع الطريق أمام أي اتصال بين الأساطيل المعادية من خلال مركز قواها الخاصة بها على النحو الذي تشاء، ورأي ماهان في مركزه هذه الوسائل التي تسمح بتدمير السفن المعادية مفتاح النجاح الدائم وأصبحت التجهيزات البريطانية بعد امتلاك جبل طارق، وبالتالي سهولة رصد الأساطيل التي تمر عبر البحر المتوسط والمحيط الأطلسي بلا منازع ما دفع هذا الجهاز البحري للطموح إلى الهيمنة العالمية.²

شدد ماهان على التصلب البريطاني، وتماسك السياسة التي بدأت مع إليزابيث وتمنعت خلال القرن الثامن عشر وركز على تكامل العقلية الأنجلوساكسونية بين الحرب والتجارة باعتبار أن الأولى تحترم الثانية، أو بمعنى أدق مصالح القوة السياسية البحرية "Thalassocratique".

في عام 1900 ظن ماهان أن الدور التاريخي للمملكة المتحدة قد وصل إلى نهايته، وبطبيعة الحال انتقال الدور إلى الولايات المتحدة، لأن الموقع الجغرافي للولايات المتحدة يشبه موقع إنجلترا وهو ما دفعهما في الاتجاه نفسه، بسبب حجم الولايات المتحدة الأمريكية "dimension" ولكونها الجزيرة الأكبر والأكثر مركزية مقارنة بالعالم المحيطي "océanique" فهي أفضل من يتصدى للتحديات على مستوى العالم.³

¹ - محمد فايز العيسوي، مرجع سابق، ص ص 305-306.

² - جاسم سلطان، مرجع سابق، ص 66.

³ - "نظريات الجيوبوليتيك": دراسة عامة، في:

<http://www.alalam.in.news> (30جانفي 2018).

أما القرابة الثقافية والإيديولوجية، فقد دفعت ماهان إلى الإيمان بالهيمنة البحرية والعالمية الأجلو- ساكسونية التي رأى فيها "سوميدا كونسورسيوم عابرا للقوميات"، استخلص ماهان من كتاباته ثلاث قناعات يجب الاهتمام بها:

1- القناعة بتفوق القوة البحرية: لأن التعارض بين القوة البحرية والقوة القارية هو المحرك الأساسي لتاريخ الأمم، ويؤكد ماهان في نهاية الأمر وفي كل الحالات تفوق القوة البحرية في كل الاتجاهات وهو ما يسمح لها بالإحاطة بخصمها بفضل قدرتها على التراجع ومناعتها الإستراتيجية التي يوفرها لها موقعها الجزيري، واقتنع ماهان بأن التفوق البحري لا يتحقق إلا بتعاون قوتين أو ثلاث قوى.

2- السيطرة على البحار: بعد أن قارن ماهان بين الإستراتيجيات البحرية المتبعة من قبل الإنجليز والفرنسيين خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، ثم في بداية القرن العشرين، انتهى إلى قناعة حاسمة بتفوق سيطرة البريطانيين الذين طالما سعوا إلى السيطرة على البحار من خلال مركزة القوات.

3- الدفاع عن الخطوط البحرية: يرى ماهان أن الاتصالات تشكل أهم عنصرا في الإستراتيجية السياسية أو العسكرية، على الصعيد السياسي لا بد من التحكم بالخطوط البحرية لتأمين ربط المركز بالمستعمرات.¹

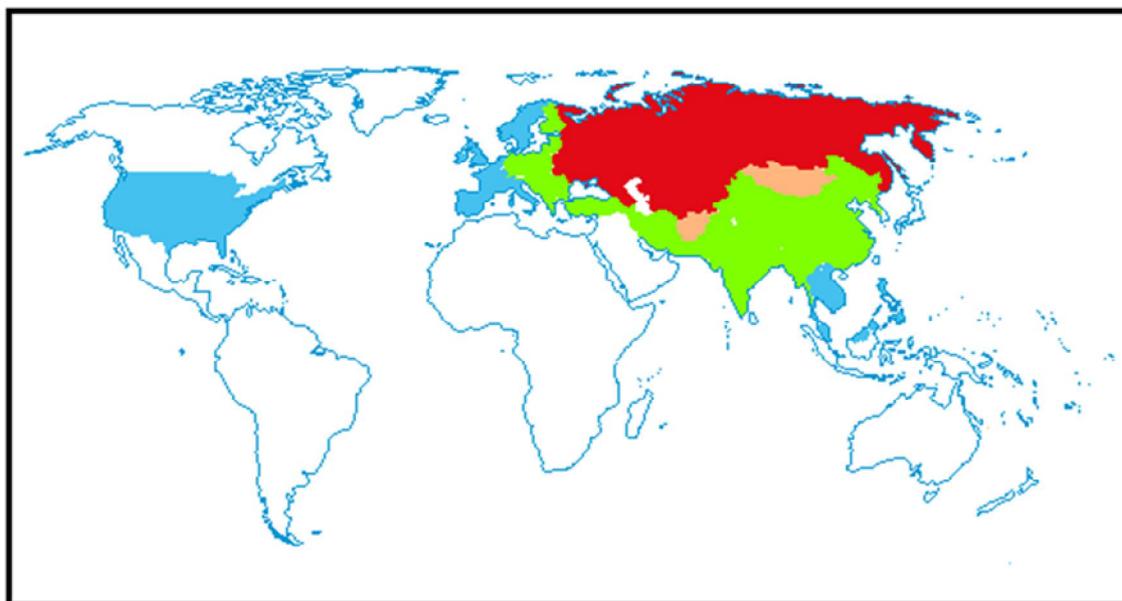
- يتفق المحللون الإستراتيجيون على القول بأن ماهان يستحق التخليد، ليس من أجل الأفكار التي طرحها في هذا العلم العسكري، بل من أجل عبقريته كمؤرخ بحري ولقدرته على فهم الفضاء الإستراتيجي للقوة البحرية وتطويرها وتأثير أفكاره في بسط السيادة البحرية للدول.²

¹ - بيتر باركي، تقرير بعنوان: رواد الجيوبوليتيك وإمكانات الحوار، (معهد السلام، 2008)، ص 17.

² - مصطفى صايح، مرجع سابق، ص 25.

شكل رقم (01): خريطة ألفريد ماهان – القوى البحرية

نظرية ماهان – القوى البحرية



قوى البر	■
قوى البحر	■
داخلي/قاري	■
حيدية – إنتقالية (منطقة الارتطاج Crush Zone)	■

المصدر: محمد رزيق، مرجع سابق، ص 70.

المطلب الثالث: نظرية القلب أو النظرية المركزية لـ "هالفورد ماكيندر"

يعد ماكيندر أشهر جيو بوليتيك بريطاني اعتبر أن نظريته من أعظم النظريات للجغرافيا العالمية، وقد حاول خدمة الاستعمار البريطاني في نظريته الجغرافية، والدفاع عن مصالح الإمبراطورية البريطانية في أوروبا والعالم.

تعتبر نظرية قلب العالم أو الهارتلانند "Heart land" التي صاغها إحدى النظريات الأكثر شهرة في مجال القوى العالمية، وذلك من خلال مقال بعنوان: محور الارتكاز الجغرافي للتاريخ (the geographical pivot of history) الذي نشر عام 1904 في المجلة الجغرافية، ويرى ماكيندر أن قلب العالم أو الهارتلانند هو المجال الأوراسي (الأوروبي-الآسيوي) الذي هو عبارة عن سهول داخلية محمية طبيعياً.¹

ويقصد ماكيندر باصطلاح المنطقة المركزية (Heart Land) التي تؤثر كثيراً على مصير الجزيرة العالمية، يبدأ ماكيندر ويختتم فكرته بقوله المأثور الرائع والمفرط في التبسيط الذي كثيراً ما استشهد به الباحثون "من يحكم أوروبا الشرقية يسيطر على الجزيرة العالمية، ومن يحكم الجزيرة العالمية يسيطر على العالم"، إن أول شيء يجب إدراكه هنا هو أن ماكيندر بدلا من أن يكون حتماً كلياً، يستجيب بالقدر نفسه للأحداث الناتجة عن الفاعلية الإنسانية.²

ولعل أهم ما يمكن أن نفسره من تغيرات آراء ماكيندر في 1943 عنها في 1904، 1919، نقل الأهمية الجيوبوليتيكية للهارتلانند من مجرد الاعتماد على الموقع والتكتل الأرضي وسهولة الحركة للقوى القارية إلى الاعتماد على الناس والعمران والموارد والخطوط الخلفية للحركة.³

وقد وضع ماكيندر مجموعة من الافتراضات هي:

- 1- الصراع الدائم والمستمر لتحقيق النصر هو في النهاية بجانب القوة البرية وليس البحرية.
- 2- تقوم ترسيمة ماكيندر حول أولوية الجزيرة العالمية (World Island) مجتمعة في قارة واحدة هي أوراسيا وإفريقيا كقطعة واحدة واعتبر ماكيندر القارتين الأخرتين (أمريكا وأستراليا) بوضعها جزراً تدور في فلك جزيرة العالم.
- 3- حدود قلب العالم تتقاطع مع أحواض الأنهار نحو البحار الداخلية وبالتالي فهي مغلقة أمام الملاحة البحرية (المحيط من يدخل في الحساب).
- 4- اعتقد أن التغير على قلب العالم الأوراسي في البلقان على نحو خاص الذي يشمل المضائق والجبال إضافة إلى أحواض الأنهار فهو يشيبه حجز الزاوية الذي تقوم عليه الهيمنة العالمية للفضاء الذي تغطيه أوروبا الشرقية

¹ عدنان السيد حسين، الجغرافيا السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر، ط2، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1996)، ص 70.

² روبرت د.كابلان، انتقام الجغرافيا، تر: إيهاب عبد الرحيم علي، (الكويت: عالم المعرفة، 2015)، ص 98.

³ الخليج الجديد، مرجع سابق، ص 7.

في مقولته الشهيرة "من يسيطر على أوروبا الشرقية يتحكم بقلب العالم ومن يسيطر على قلب العالم يتحكم بالجزيرة العالمية ومن يسيطر يحكم العالم".

5- بديهيته الجيو إستراتيجية التي تعطي لأوروبا الشرقية، مكانة متميزة وهي بديهية استفتاحية حتى وإن استند ماكيندر إلى مرجعيات تاريخية لشعوبها ويعود في ذلك إلى الصراعات الدائمة بين السلافيين والجرمانيين للهيمنة على الشرق الأوروبي.¹

يقدم ماكيندر نظرة ذات طابع أبوي وشمولي من أجل تسكين المجتمعات المليئة، التي اضطرب توجهها السياسي نتيجة لارتباكها في مواجهة التغيرات السريعة والمفاجئة.

وقد استهل ماكيندر ممارسة الحياة الجيوبوليتيكية المتعلقة بادعاء الامتلاك نظرة نزيهة وشاملة في الوقت نفسه إلى العالم والتي ترجمت إلى أن الاعتقاد القائل إن القوى الغربية قادرة على السيطرة على الممارسة السياسية.

ويعتقد ماكيندر أن التقدم الكبير في وسائل النقل الأرضية أصبحت أهم من وسائل النقل البحرية.² كما سبق الذكر أن هالفورد ماكيندر هو الأب الآخر المؤسس للجغرافيا السياسية وهو إنجليزي الأصل، حيث كانت معظم اهتماماته الكبرى تبدأ أولاً من مصير بريطانيا العظمى وإمبراطوريتها، ولهذا نرى أنه حينما كتب كتابه "Democratic Ideal and Reality" إنما أراد هذا البريطاني تحذير الرأي العام الإنجليزي من الأخطار النوعية التي كانت تواجهها المملكة المتحدة في العالم كما كان يراه.

واستشعر ماكيندر أن العالم كان بصدد التغير وأصبح مغلقاً وأنه بالتالي لا بد من إدراكه بوصفه منظومة تؤثر عناصره ببعضها بعضاً فوق الأرض.

ويقول ماكيندر بأن المستقبل ملك الدول الكبرى، وأن هيمنة إمبراطورية واحدة على العالم أصبح من الآن فصاعداً أمراً ممكناً، وكان قلقاً بشأن بريطانيا التي يعتبرها تتراجع وتحل محلها الولايات المتحدة الأمريكية، واقتنع ماكيندر بالتراجع الحتمي لبريطانيا العظمى غير القادرة على تحمل تنافس القضاة الكبرى البحرية سواء كانت دولة قائمة أم في طور التشكل لمصادرها.³

¹ - مصطفى صايح، أهمية العامل الجيوبوليتيك في تحليل النزاعات الدولية، "الأحداث"، (ديسمبر 2008)، ص 19.

² - بيتر تيلور، كولن فلنت، الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر، تر: عبد السلام رضوان وإسحق عبيد، (الكويت: عالم المعرفة، ج1، 2002)، ص 53.

³ - جيرار ديسوا، دراسة في العلاقات الدولية، تر: قاسم المقداد، (دمشق: دار نينوي للنشر والتوزيع، ج1، 2014)، ص 110.

كان الملجأ الحتمي والوحيد لبريطانيا العظمى يكمن في توحيد الإمبراطورية حول الوطن الأم، وقد راجع ماكيندر عن ارتباط وثيق بين المملكة المتحدة والدول الأربعة التي تتكون منها "Dominions" (أستراليا، كندا، أيرلندا الحرة، نيوزيلندا) لمواجهة الدول البحرية المنتظمة حديثاً، ودرس مختلف السبل لتحقيق إمبراطورية فيدرالية من دون إخفاء المعوقات التي ينبغي العمل على تجاوزها.

وقد فسر ماكيندر التراجع البريطاني بعدة أسباب منها: الظروف الاجتماعية والعقلية للشعب البريطاني غير المهيأ تماماً للتنافس وتجديد الكوادر، منظومة تربوية ضعيفة تبقى غالبية الشعب في حالة التدني الثقافي والتأهيلي.

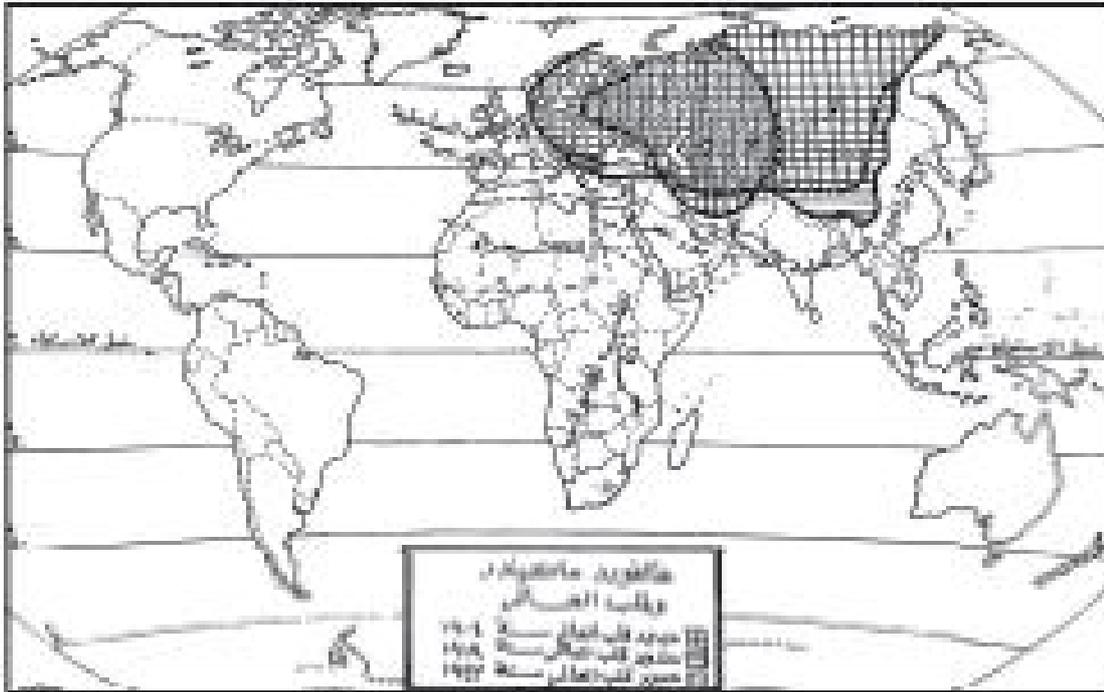
كان ماكيندر يخشى رؤية بلاده وقد تجاوزتها الولايات المتحدة والقطر الرئيسية التي تتكون منها الإمبراطورية أن تغرق في الفوضى ويخشى أكثر على أمن الجزر البريطانية التي تهددها الإمبراطورية الأوروبية.¹ وإرادة البريطاني هالفورد ماكيندر واضحة الدفع إلى الوعي لحقيقة دولته العظمى، ويعتبر ماكيندر أن التقدم الكبير في وسائل النقل الأرضية أصبحت أهم من وسائل النقل البحرية.

ويعتبر ماكيندر أنه كان أكثر من مجرد عالم في الإستراتيجية الجغرافية كما صورته كتاباته في الجغرافيا السياسية (1992)، وذلك بالبدء بآرائه الاقتصادية والسياسية والقومية أن نصوره بوصفه أكثر من مجرد عالم اقتصاد سياسي ذي رؤية شمولية.²

¹ — المرجع نفسه، ص 110.

² — ألكسندر دوغين، أسس والجيوبوليتيكا، تر: عماد حاتم، (طرابلس: دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع، 2004)، ص

شكل رقم (02): خريطة شكل قلب الأرض عند ماكيندر (1904/1919)



المصدر: محمد رياض، مرجع سابق، ص 63.

خلاصة الفصل الأول

تعتبر الدولة من الظواهر الجغرافية، ولكي تصبح وحدة سياسية متماسكة في الداخل وقوة لها اعتبارها في الخارج، ينبغي عليها بسط نفوذها في أرجاء مساحتها وتستغلها على أكمل وجه، فالكثافة السكانية وانتشار العمران والمساحة تعتبر ركائز مهمة لأي دولة، ومنه والجيوپوليتيك هو استثمار الجغرافيا السياسية استثماراً إيجابياً من قبل الدولة ومن أجل تحقيق عنصر القوة.

ونستنتج من خلال ما سبق ما يلي:

- تعتبر الجيوپوليتيك من المفاهيم القديمة قدم الفكر الإنساني في حضاراته العليا.
- تطور الجيوپوليتيك خلال عقد الثمانينات من القرن العشرين وذلك بإضافة أبعاد جديدة على أبعادها التقليدية كالبعد الديمغرافي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي.
- ظهور العديد من النظريات كان من نتائج اهتمام الباحثين والعلماء المتخصصين، من أمثال هالفورد ماكيندر راتزل وماهان.

الفصل الثاني :

دراسة جيوسياسية لمنطقة

الشرق الأوسط

يعتبر مصطلح الشرق الأوسط مصطلح ديناميكي غير مستقر، بالمعنى التاريخي حتى أبعاده الجغرافية والسياسية، فقد تغيرت الصياغات السياسية والجغرافية والمسميات بالنسبة لهذا المصطلح. وأخذ عدة تسميات من الشرق الأدنى إلى الشرق الأوسط الجديد، والشرق الإسلامي إلى الشرق الأوسط الكبير حسب المفاهيم الغربية الأوروبية والأمريكية. حيث لم يتفق العلماء على تعريف واحد واسع وشامل فهو يمتاز بالغموض، فالمفاهيم التي تستخدم وتتردد باستمرار دون دراسة تتحول بمرور الزمن إلى حقائق وستتناول من خلال هذه الدراسة إلى مفهوم الشرق الأوسط والجذور التاريخية له وأهم قضاياها وسماته وخصائصه.

المبحث الأول: الحدود الأنطولوجية للشرق الأوسط

يعتبر مصطلح الشرق الأوسط من المفاهيم الديناميكية والغير الثابتة وأخذ عدة تسميات مختلفة وهذا ما سنتطرق إليه في هذا المبحث.

المطلب الأول: تاريخية مصطلح الشرق الأوسط

أولاً: مصطلح الشرق الأوسط قبل الحرب الباردة

منذ حوالي خمسة وأربعين عاماً، أكد الباحث "Percy" بأن منطقة الشرق الأوسط هي في الواقع منطقة مجهولة وغير محددة المعالم لهذا يرى بأن هناك أنواع مختلفة جدا من التعريفات الغامضة، حيث أخذ عدة تسميات مثل الشرق الأدنى إلى الشرق الأوسط الكبير، والشرق الإسلامي، غالباً ما تكون مستخدمة في الأدبيات القديمة ووسائل الإعلام.¹

بالرجوع إلى الكتابات الماضية، فإنه يمكننا رصد تصورات وتعريفات تتعلق بالشرق في الأعمال القديمة حيث كان لهذه الأعمال تأثير مباشر على التصورات العقلية للعصور الحديثة، فقد كان الشرق في البداية يتألف من مصر في اليونان القديمة، أما في أوروبا العصور الوسطى فقد استخدم الرومان مصطلح "oriens" الذي يأخذ جذوره من الكلمة اللاتينية "oriens sol" تعني شروق الشمس لتعريف المنطقة، ثم استخدم ضمناً للتعبير عن النصف الشرقي الذي يعبر عن الإمبراطورية البيزنطية والرومانية واستخدم المصطلح للدلالة عن شرق القدس التي سميت اسم الأرض المقدسة مع أوسع معانيها.²

كان مصطلح الشرق مستخدماً عموماً في أوروبا لتحديد منطقة ذات مجموعة واسعة من البلدان تشمل البلدان الناطقة باللغة العربية، تركيا، إيران، الهند وحتى الصين إلى غاية القرن التاسع عشر، ومع مرور الوقت استخدمت العديد من التعريفات المختلفة لوصف هذا المجال الإقليمي، فقد أكد كرواس الذي أخذ في الاعتبار أن هناك تعريفات مختلفة وفي أوقات مختلفة بأن الوصول إلى تصنيف واضح ومرتبط بالشرق الأوسط غير ممكن لكن ولهذا فإنه من الضروري أن ننظر إلى تاريخ الإمبريالية من أجل فهم مصطلح الشرق الأوسط في سياقه الحديث.

¹ عبد الرزاق بوزيدي، التنافس الأمريكي الروسي في منطقة الشرق الأوسط - دراسة حالة الأزمة السورية 2010-2014، مذكرة غير منشورة، (جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2014-2015)، ص 356.

² كميل حبيب، الشرق الأوسط وفلسطين في الرؤية الأمريكية، (بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2012)، ص 43.

بدأ الشرق يعني بالنسبة لأوروبا حدود الإمبراطورية العثمانية التي كانت على شفا الانهيار في القرن التاسع عشر وبدأ التفكير في تقاسم إقليم أو أراضي الإمبراطورية يتحول إلى صراع للمصالح الوطنية المختلفة بين القوى الأوروبية حول من سيأخذ أراضي الإمبراطورية العثمانية التي كانت في مرحلة الانهيار وهذا الصراع كان يسمى بالمسألة الشرقية في أوروبا.¹

في سبتمبر 1902 قام ماهان بنشر مقال بعنوان "الخليج الفارسي والعلاقات الدولية"، حيث أنه ولأول مرة استخدم عبارة الشرق الأوسط للدلالة على خليج عدن والهند وفقا لمفهوم ماهان، كان الشرق الأوسط منطقة بين السويس وسنغافورة.

وفقا لهذه التطورات التاريخية في الواقع، وفقا لوجهة النظر البريطانية، حدد وينستون سيات مصطلح الشرق الأوسط كمنطقة ممتدة من البوسفور إلى الحدود الغربية للهند. وقبل الحرب الباردة كان مصطلح الشرق الأوسط يغطي المنطقة الجغرافية التي كان يقصد بها من قبل الشرق الأدنى.²

ثانيا: مصطلح الشرق الأوسط خلال الحرب الباردة

بدأت بنية المنطقة في التغيير بالتوازي مع التغييرات الهيكلية للقوى العظمى على الصعيد العالمي فبعد الحرب العالمية الثانية ضعفت بريطانيا وأصبحت المنطقة لا يقينية، حل السلام الأمريكي في المنطقة بدلا من السلام البريطاني حيث أصبحت منطقة الشرق الأوسط أكثر إستراتيجية بسبب مواردها الطاقوية بالنسبة لأمريكا.

أصبح مصطلح الشرق الأوسط خلال الحرب العالمية الثانية أكثر شعبية ويغطي منطقة ممتدة من مالطا إلى إيران وسوريا ومن هناك إلى إثيوبيا، ترسخ المصطلح بطريقة قوية في أدبيات العلاقات الدولية خصوصا بعد الحرب في حين أن مصطلح الشرق الأدنى بدأ يفقد أهميته ومحتواه في مقابل الاستخدام المكثف لمصطلح الشرق الأوسط.

¹ - عبد الرزاق بوزيدي، مرجع سابق، ص 36.

² - بيتر بالي، "واقع الشرق الأوسط"، في:

(07 فيفري 2018) <http://www.alhakikanews.com/index.php.permalink.34036.htm>

على الرغم من تسوية مصطلح الشرق الأوسط في الأدب العالمي، إلا أنه ليس هناك اتفاق مشترك على امتداد المنطقة الجغرافية وبلدان الشرق الأوسط.¹

يتم وضع حدود الشرق الأوسط بأشكال مختلفة للغاية بسبب اختلاف المصالح للمعايير والأنظمة العلمية في معنى أوسع يمكننا أن نقول أن منطقة الشرق الأوسط تغطي المنطقة من إثيوبيا جنوباً، تركيا شمالاً، أفغانستان وباكستان شرقاً إلى المغرب غرباً، هناك معايير مختلفة ومقتربات عديدة لتحديد حدود الشرق الأوسط.

الاقترب من تحديد المنطقة والحد من المعايير العديدة على مستوى الأدبيات العلمية حتى نهاية الحرب الباردة، فإن التغييرات الكبيرة في العلاقات الدولية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وبعد استقلال دول آسيا الوسطى غيرت جذريا المصطلحات المتعلقة بالشرق الأوسط.²

ثالثاً: مصطلح الشرق الأوسط بعد نهاية الحرب الباردة

بعد انهيار الاتحاد السوفياتي دول مثل أذربيجان وكازاخستان وتركمانستان وقرغيزستان وأوزبكستان وطاجيكستان التي كانت غالبية سكانية مسلمة وكانت ذات تقليد ثقافي إسلامي في آسيا الوسطى والقوقاز حصلت على استقلالها وفقاً لبعض الكتاب، هذه البلدان لا تزال في عملية تحول متعددة الأوجه تسببت في تشكيل منطقة كبيرة جديدة في المعنى الثقافي والسياسي بسبب هوياتها الإسلامية على سبيل المثال، وفقاً للباحث لويس "Lewis" هذه البلدان التي هي جزء من الشرق الأوسط بالمعنى الثقافي والعرقى واللغوي والديني في الماضي قد اكتسبت مرة أخرى هذا البعد التاريخي بعد استقلالها.³

كما أكد الباحث "Robinz" بأن كلا المنطقتين تمتلكان إرثاً تاريخياً وثقافياً وسياسياً مشتركاً وأن حدود الشرق الأوسط يمكن توسيعها لتشمل آسيا الوسطى بسبب أربعة معايير:

- نظام الدولة؛
- الثقافة
- الدين؛

¹ - محمود محمد طه، مشكلة الشرق الأوسط، (السودان: د. د. بن، 1967)، ص 39.

² - عبد الرزاق بوزيدي، مرجع سابق، ص 37-38.

³ - علاء عبد الوهاب، الشرق الأوسط الجديد: سيناريوهات الهيمنة الإسرائيلية، (القاهرة: سينا للنشر والتوزيع، 1995)، ص 59.

– اللغة

أحد المؤلفين الذين يتقاسمون وجهة النظر هاته هو الباحث "Trautner" الذي لا يقترح أكثر من مصطلح المشرق الإسلامي للمنطقة لأن الثقافة الإسلامية هي السائدة جغرافيا التي تبدأ من دول الصحراء الغربية إلى وطاجيكستان وإن كان في أشكال مختلفة في هذا السياق اختار "Lindholm" أيضا مصطلح الشرق الأوسط الإسلامي.

أدت نهاية الحرب الباردة عبر انتصار الولايات المتحدة على المنظومة السوفياتية دون حرب إلى طرح الولايات المتحدة رؤية مختلفة لمنطقة الشرق على ما كانت عليه زمن الحرب الباردة.¹

بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وحرب الخليج الثانية عام 1991 قد أعاد ترتيب معطيات جديدة حررت السياسة الأمريكية من قيود فاعلة فأتاحت لها فرصة جديدة لإعادة تعريف منطقة الشرق الأوسط وفق ما يخدم مصالحها ومن جهتها العودة إلى التفكير السابق لدمج المنطقة العربية بمنطقة أوسع جغرافيا وسكانيا وذلك من خلال ربط الأقطار العربية في الشرق العربي بتركيا وإيران وإدخال الكيان الإسرائيلي ضمن جغرافيا المنطقة من خلال المشروع الشرق أوسطية.²

يمكن القول إن مصطلح الشرق الأوسط بعد نهاية الحرب الباردة ظل مصطلحا غامضا، فمن الناحية الجغرافية ليس له حدود واضحة، فتارة يضم دولا عربية وتارة أخرى يخرجها خارج إطار هذا المفهوم خصوصا دول المغرب العربي والبعض خاصة الولايات المتحدة يوسع مصطلح الشرق أوسطي ليشتمل أفغانستان مع إمكانية تمده شرقا وشمالا إلى تركيا، مع فرض إسرائيل دائما ضمن هذه الكتلة، حيث مفهوم الشرق الأوسط لا يحدد بمنطقة جغرافية معينة وهو لا ينبع من طبيعة المنطقة العربية، هو بإدخاله لبلدان غير عربية جعل البلدان العربية مجرد جزء من منطقة كبيرة تضم قوميات وأجناس وأديان عديدة.³

¹ – كمال سالم السكري، "مشروع الشرق أوسطية والأمن القومي"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، م 1، ع1، (2012)، ص 520.

² – علاء عبد الوهاب، مرجع سابق، ص 61.

³ – إسلام أحمد، جيوبوليتيك روسيا وسياستها الخارجية: استمرارية بلا انقطاع، (مركز إدراك للدراسات والاستشارات، جوان 2016)، ص 11.

المطلب الثاني: الضبط التعريفي للشرق الأوسط

أولاً: حسب المفكرين

يعتبر مصطلح الشرق الأوسط مفهوم واسع ومتغير ومن خلال هذا سنتطرق إلى عدة تعاريف حسب مجموعة من المفكرين:

1- يعتبر ألفريد ماهان المؤرخ الإستراتيجي البحري الأمريكي صاحب نظرية القوى البحرية في التاريخ، أول من استخدم مصطلح الشرق الأوسط وذلك عام 1902، حيث عرف ماهان الشرق الأوسط بأنه: "المنطقة التي يقع مركزها في الخليج العربي ولكنه لم يحدد البلاد التي تدخل في نطاق تلك المنطقة".

2- تعريف شمعون بيريس للشرق الأوسط بأنه: "المنطقة الممتدة من ليبيا غرباً وحتى إيران شرقاً ومن سوريا شمالاً حتى اليمن جنوباً، إضافة إلى باكستان كونها دولة إسلامية وكما يشير للقنبلة النووية الباكستانية بأنها قنبلة إسلامية".¹

3- تعريف بريجنسكي: "إن الشرق الأوسط مكون من جماعات عرقية ودينية مختلفة على أساس مبدأ الدولة الأمة، تتحول إلى كانتونات طائفية وعرقية يجمعها إطار إقليمي كوندراي وهذا سيسمح للكانتون الإسرائيلي بأن يعيش في المنطقة بعد أن نصفي فكرة القومية"

ثانياً: تعريف الشرق الأوسط حسب المنظمات والقواميس ودائر المعارف

1- تعريف الأمم المتحدة: عرفت للأمم المتحدة الشرق الأوسط بأنه: "المنطقة الممتدة من ليبيا غرباً حتى إيران شرقاً ومن سوريا شمالاً حتى اليمن جنوباً"، والأمم المتحدة أعادة تعريف الشرق الأوسط بأنها: "كل الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية والتي تضم اثنتين وعشرين دولة بالإضافة إلى إيران وإسرائيل".²

2- تعريف جامعة الدول العربية: "هو عبارة عن الأقاليم الخاضعة للسيادة أو سيطرة الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية، بالإضافة إلى كل من إيران وإسرائيل وقد استبعد هذا التعريف تركيا كونها عضو في حلف شمال الأطلسي".

¹ - نجاه مدوخ، السياسة الخارجية الروسية اتجاه منطقة الشرق الأوسط في ظل التحولات الراهنة "دراسة حالة سوريا 2010-2014"، أطروحة غير منشورة، (جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2014-2015)، ص 20.

² - أحمد سليمان سالم الرحالة، الدور التركي الجديد في منطقة الشرق الأوسط: الفرص والتحديات، أطروحة غير منشورة، (جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب والعلوم، 2014)، ص ص 22-24.

3- تعريف المعهد الملكي للشؤون الدولية: تأسس المعهد في لندن عام 1919 برئاسة المؤرخ أرنو لد تويبيني ويرى أن تسمية الشرق الأوسط شملت شرق البحر المتوسط، ويصور خاصة ما يعرف بالهلال الخصيب مع مصر وتركيا واليونان وقبرص وإيران وخلال الحرب العالمية الثانية توسع استخدام هذا المصطلح ليشمل المشرق العربي والسودان ومصر وتركيا وإيران وأفغانستان¹.

4- التعريف الإنجليزي: "يضم إلى الشرق الأوسط بالإضافة إلى البلدان السابقة كل من أفغانستان وباكستان، وبعض مناطق روسيا وسمى بالشرق الأدنى لتفرقه عن الشرق الأقصى لبعده الأخير عن إنجلترا ويدخل المستشرق البريطاني الأمريكي برنارد لويس جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية في حدود الشرق الأوسط"
5- التعريف الأمريكي: "تعتبر دائرة المعارف الأمريكية أن الشرق الأوسط يشمل البلاد الآتية: البحرين، قبرص، مصر، إيران، العراق، إسرائيل، الأردن، الكويت، لبنان، سلطنة عمان، قطر، السعودية، سوريا، تركيا، الإمارات العربية، اليمن".

وقد كان هذا التعريف من صنع الحلفاء عندما اقتسموا الإمبراطورية العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى وسميت المنطقة بالشرق الأوسط لتوسطها جغرافياً قارات العالم القديم الثلاث².

6- تعريف البنك الدولي: "للشرق الأوسط بالمنطقة التي تضم الدولة الواقعة بين المغرب غرباً وإيران شرقاً بينما يرى آخرون أنه عبارة عن منطقة تضم فضلاً عن المشرق العربي ووادي النيل، وكلاً من إيران وتركيا وآسيا الوسطى".

7- تعريف الموسوعة البريطانية: "بأن الشرق الأوسط الحدود الخارجية لهذه المنطقة الشاسعة تتغير مع الزمن، ولكن قلبها يبقى متجانس التكوين، وهو العالم الإسلامي والعربي"³.

8- التعريف الفرنسي: "المسار الذي اتخذ مصطلح الشرق الأوسط أبقى لفترة طويلة الازدواجية مع الشرق الأدنى متداخلاً مع مصطلحات المشرق والشرق، وبدت هذه الازدواجية كإحدى نتائج التنافس السياسي بين باريس ولندن منذ اتفاقية سايكس بيكو المعقودة عام 1916، وعرف المشرق أولاً بالجزء الفرنسي في خريطة

¹ - المرجع نفسه، ص 25.

² - محمد علي حوات، مفهوم الشرق أوسطية وتأثيرها على الأمن القومي العربي، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 2002)، ص 24.

³ - محمود حسن علي العفيفي، مشروع الشرق الأوسط الكبير وأثره على النظام الإقليمي العربي، مذكرة غير منشورة، (جامعة الأزهر، غزة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2012)، ص 20.

(سايكس بيكو) الشهيرة، أي سوريا ولبنان وسرعان ما استبدل الشرق بالشرق الأدنى في إشارة إلى المناطق التي تسعى فرنسا لمد نفوذها إليها والواقعة في الجزء الشرقي من البحر المتوسط".¹

المطلب الثالث: عوامل تشكل الشرق الأوسط

لقد أدى إدخال المنطقة إلى العصر الحديث الذي بدأ مع الحملة الفرنسية على مصر عام 1798م واكتمل في عام 1919م مع اقتسام الفرنسيين والانجليز لمناطق الانتداب والنفوذ على امتداد منطقة (الشرق الأوسط)، أدى إلى تشابك النتائج البعيدة المدى لهذا الإدخال القهري للمنطقة في عصر الحداثة، والتي يمكن حصرها في أربع أصعدة كما يلي:

1- ديموغرافيا: تسببت عملية التحديث هذه بوجود طفرة سكانية منقطعة النظير في تاريخ المنطقة مما أدى إلى انقلاب في البيئة الديموغرافية وضاعف المعدل السنوي للنمو السكاني عدة مرات، ولقد كان هذا النمو أحد عوامل إدخال الشرق الأوسط في الأزمة المفتوحة.²

2- اقتصاديا: عرفت معظم دول المنطقة حركة تصنيع وتحديث زراعي، ولكن الطابع الريفي بقي هو الغالب على اقتصاديات الشرق الأوسط خصوصا بعد الطفرة النفطية بعد حرب (1973)، غير أنه لا يزال هناك اختلاف ملموس في التوازن من حيث الدخل السنوي سواء في الدول النفطية أو غير النفطية.

3- ثقافيا: لا تزال معظم دول المنطقة تعتبر من الدول المختلفة وعلى الرغم من الثورة التعليمية الحديثة التي أدخلت عشرات الملايين من سكان المنطقة دائرة الوعي، إلا أن نسبة الأميين بين سكان الدول العربية التي تزيد أعمارهم عن الخامسة عشر تعتبر مرتفعة إذا قورنت بإيران وتركيا.³

4- إيديولوجيا: جاءت عملية التحديث بعد سقوط الدولة العثمانية، فبدت وكأنها أرادت انتقال المنطقة من تاريخ ديني إلى تاريخ دنيوي ولاشك أن هذه النتائج على أصعدها الأربعة، حيث كان لها تأثير بشكل أو بآخر في تشكيل ملامح المنطقة داخليا والمطامع في ثرواتها خارجيا، ولكنها لم تحدد تحديدا قاطعا وواضحا المساحة الجغرافية التي يعطيها مصطلح الشرق الأوسط.

¹ - المرجع نفسه، ص 22.

² - صخر علي السلامة السليجات، دور المياه في إثارة النزاع في الشرق الأوسط (دراسة حالة تركيا، العراق، سورية للفترة (2003-2013))، مذكرة غير منشورة، (جامعة الشرق الأوسط: كلية الآداب والعلوم، 2013-2014)، ص 38.

³ - المرجع نفسه، ص 39.

المبحث الثاني: المقومات الجيوسياسية لمنطقة الشرق الأوسط

ترتبط الأهمية الجيواستراتيجية والاقتصادية لمنطقة الشرق الأوسط بالموقع الجغرافي المتميز لها والمتحكم فيها لماله من أهمية بالغة.

المطلب الأول: الأهمية المكانية لمنطقة الشرق الأوسط

مصطلح الشرق الأوسط هو مصطلح جيوبوليتيكي لم يتفق مفكري السياسة الدولية على مفهوم واحد، فهناك من يوسع مجال هذه المنطقة لتشمل جميع دول الوطن العربي بالإضافة إلى كل من إسرائيل وتركيا وإيران والهند وباكستان بالإضافة إلى دول شمال إفريقيا (الشرق الأوسط الكبير).

تعتبر منطقة الشرق الأوسط هي المنطقة الجغرافية الواقعة ما حول شرق وجنوب البحر الأبيض المتوسط وتمتد إلى الخليج العربي، يستعمل هذا المصطلح للإشارة للدول والحضارات الموجودة في هذه المنطقة الجغرافية.¹ سميت هذه المنطقة في عهد الاكتشافات الجغرافية من قبل المكتشفين الجغرافيين بالعالم القديم وهي مهد الحضارات الإنسانية وكذلك مهد جميع الديانات السماوية.

منطقة الشرق الأوسط من المناطق المؤثرة في التوازن العالمي، فموقعها الإستراتيجي جعلها في حيز قانون التداخل والتعارض وبسبب ذلك جعلها ذات أهمية شديدة في المصالح الدولية، ويشكل العالم العربي الجزء الأكبر والأهم من الناحية الجيو إستراتيجية والجيو سياسية.²

حينما ننظر إلى موقع الشرق الأوسط من الزاوية التاريخية نرى أنه كان وما زال لهذا الموقع الجغرافي وما ترتب عليه من خطورة إستراتيجية دور أساسي في تقرير مصائر الشعوب التي تسكنه.

فموقع الشرق الأوسط شديد الارتباك بأهميته الإستراتيجية ولا يمكن الفصل بينهما، حيث كانت تطلق عليه العبارات التالية:

جسر إلى آسيا، أنه موطن حيوي للإمبراطورية البريطانية، والشريان الرئيسي للمواصلات بين أوروبا وآسيا الوسطى.

¹ محمد عربي لادمي، التنافس التركي-الإيراني على مناطق النفوذ في منطقة الشرق الأوسط (1996-2014)، مذكرة غير منشورة، (جامعة محمد خيضر، بسكرة: كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2013-2014)، ص 59.

² محمود صلاح الدين، "مفهوم الشرق الأوسط"، في: <http://pulpit.alwatanvoice.com/category/7.html>، (2018/02/15).

حيث يعتبر الشرق الأوسط ذات أهمية بالغة، كما أنها كانت موطن الفكر الديني في التاريخ القديم ثم مهبط الديانات السماوية، ثم معتركا للفكر الحديث.¹

الشكل رقم (03): خريطة الشرق الأوسط



Source: <http://alroya.com/ar/alroya-newspaper/global/138381>

المطلب الثاني: الأهمية الجيو إستراتيجية والاقتصادية لمنطقة الشرق الأوسط

يحتل الشرق الأوسط مكانة كبيرة لما له من أهمية كبيرة إذ يمتاز بموقع إستراتيجي واقتصادي كبيرة.

أولاً: أهمية الشرق الأوسط الإستراتيجية

ترتبط الأهمية الجيو إستراتيجية والاقتصادية لمنطقة الشرق الأوسط بالموقع الجغرافي المتميز لها، حيث يحتل مكانة لم تكن له يوماً من الأيام منذ الفتوح الإسلامية، يوم تركزت القوى العالمية جميعها في أرضيته وفوق إقليمه.

¹ يحي أحمد الكعكي، الشرق الأوسط والصراع الدولي، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1976)، ص 145.

وليس مصدر هذا الاهتمام الجديد تلك العوامل القديمة التي سطرت تاريخه، وضعت اتجاهاته وجعلت منه مركز القوى العالمية في العصور القديمة والوسطى، وليس مصدره تلك اليقظة التي أخذت تدب في أرجائه تتجه تارة إلى تراث الماضي وتميل تارة أخرى نحو الغرب وعلومه وتفوقه الحضاري المائل، وإنما مصدره المركز السياسي الإستراتيجي الذي جعل منه مركز تنافس القوى العالمية.¹

استمرت منطقة الشرق الأوسط ميدانيا تخطط فيه معالم التاريخ فانطلقت من هذه المنطقة كل الحضارات ودارت حولها ومن أجلها معارك الصراع عبر مراحل التاريخ بين مختلف القوى التي كانت تجدد في ربوع المنطقة كثيرا من الأهداف المادية والمعنوية، قامت كلها على ما تميزت به من الخصائص المختلفة.

أخذت منطقة الشرق الأوسط مكانا إستراتيجيا مهما بالنسبة لجميع القوى الفاعلة في المجتمع الدولي ويعود ذلك إلى أن المنطقة تحتل موقعا وسطا بين قارات العالم الثلاث (آسيا، إفريقيا، أوروبا)، وتتجمع فيه معظم شبكات المواصلات العالمية، وتتحكم في عدد من الممرات المائية المهمة مثل مضيق هرمز، وباب المندب²، جبل طارق فضلا عن قناة السويس التي تعد شريان حيوي للملاحة العالمية لأنها طريق بحري سهل قصير يصل دول الغرب الصناعية بجنوبي آسيا الغنية بالمواد الأولية والقوى البشرية العاملة الرخيصة كما ويصل دول غرب القارة الإفريقية الغنية أيضا بالخدمات اللازمة للصناعة مثل اليورانيوم والكروم والنحاس، مما جعل منطقة الشرق الأوسط همزة وصل بين جنوب وشرق آسيا وبين أوروبا والأمريكيتين.³

تعتبر دول أوروبا الغربية أن منطقة الشرق الأوسط تشكل بعدا إستراتيجيا لها، وعاملا مؤثرا على الأمن الأوروبي بوصفها الأقرب لها، كما أن نشوب أي حرب في هذه المنطقة يمثل تهديدا حقيقيا للمصالح الأوروبية. يمكن القول أن منطقة الشرق الأوسط تتمتع بمكانة إستراتيجية في التشكيلة العالمية الراهنة، وتعتبر منطقة الشرق الأوسط منطقة حساسة، حيث اكتسبت المنطقة أهمية كبرى في منظور المصالح الأمريكية والأوروبية بسبب موقعها القريب من الاتحاد السوفياتي سابقا.

¹ - علي فايز يوسف الدلابيح، توازن القوى وأثره في الشرق الأوسط بعد الاحتلال الأمريكي للعراق (2003-

2011)، مذكرة غير منشورة، (جامعة الشرق الأوسط: كلية الآداب والعلوم، 2011)، ص 17.

² - محمود محمد طه، مرجع سابق، ص 42.

³ - علي فايز يوسف الدلابيح، مرجع سابق، ص 19.

وبهذا تحول الشرق الأوسط إلى مسرح إستراتيجي مهم للقوى الصناعية الكبرى وهذا ما جعل هذه المنطقة لها أهمية إستراتيجية كبيرة في العالم.¹

ثانيا: أهمية الشرق الأوسط الاقتصادية

يتميز الشرق الأوسط بموقع إستراتيجي وجيو سياسي حساس بالنسبة للمنافذ المائية والبرية وتمتع بمقدرات اقتصادية وبنفطية ومالية هائلة، حيث تعتبر هذه المنطقة نواة النفط العالمي ومصدر قوة الحياة الصناعية طيلة استثمار موارده.

بعد أن دلت البوادر على وفرة بترولية نشطت أعمال البحث عن البترول في الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الأولى، حيث كان هذا النشاط من 1931 تكونت شركة بترول البحرين لاستغلال هذا المورد الجديد وفي 1935 الولايات المتحدة الأمريكية على امتياز البحث عن البترول في الخليج العربي والعسير والحجاز على البحر الأحمر من المملكة العربية السعودية، كما نال الأمريكيون من الحكومة المصرية امتيازات بترولية في 1937 السويس.

تعد السبعينات عصرا زاهيا لمنطقة الشرق الأوسط، إلا أن ومع بداية الثمانينات تحول سوق النفط الدولي العراقية والإيرانية إلى سوق مسيطر عليه.²

اكتشاف النفط يعتبر أهم عامل لأهمية منطقة الشرق الأوسط ويقدر احتياط النفط في الشرق الأوسط بـ66% من احتياط النفط العالمي، وفي نهاية القرن أنتجت منطقة الشرق الأوسط حوالي ثلث الإنتاج العالمي من النفط وتعتبر هذه المنطقة المزود الرئيسي للنفط في العالم المتطور وخاصة دول الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية، روسيا واليابان وهذا أعطى لبعض الدول في الشرق الأوسط قوة اقتصادية أثرت كثيرا على شعوب المنطقة.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى تركيا التي باتت تنظر إلى المنطقة من جانب الأحقية في التدخل بدولي بحكم الجوار الجغرافي.³

¹ طابيل يوسف عبد الله العدوان، الإستراتيجية الإقليمية لكل من تركيا وإيران نحو الشرق الأوسط، أطروحة غير منشورة، (جامعة الشرق الأوسط: كلية الآداب والعلوم، 2013)، ص 43.

² محمد أزعر، "السياسة الأمريكية اتجاه المنطقة العربية والتوازنات ما بعد حرب الخليج"، مجلة مستقبل العالم الإسلامي، (1992)، ص 45.

³ أحمد سليمان سالم الراحلة، مرجع سابق، ص 32.

تعتبر منطقة الشرق الأوسط مدخلا يتيح للقوى الإقليمية والدولية النفاذ إلى مناطق أخرى في إفريقيا وآسيا والسيطرة عليها، أو ممارسة النفوذ والتأثير في دولها.

ومنطقة الشرق الأوسط منطقة غنية بالموارد الطبيعية، خاصة موارد الطاقة كالبترول والغاز، حيث تتوفر على 70% من الاحتياطي العالمي.

حوالي 67% من احتياطات البترول و37% من احتياطات الغاز الطبيعي في العالم تقع في تلك المنطقة.

وأعلى معدلات الإنتاج للبترول تأتي من دول تلك المنطقة، حقول هذه المنطقة متوسطة العمق وتنتج بمعدلات هي الأعلى في العالم بالنسبة لمتوسط إنتاجية البئر الواحد.¹

حيث أن كل أنواع البترول والغاز الطبيعي وخاصة ذات الجودة العالية تنتج من حقول هذه المنطقة، لمنطقة الشرق الأوسط موقعا إستراتيجيا قريبا من مناطق الاستهلاك مما يقلل من تكلفة النقل، حيث تعتبر حقول البترول والغاز الطبيعي تقع في منطقة مستقرة جيوبوليتيكية وبعيدة عن الأعاصير.

حجم احتياطات البترول والغاز الطبيعي الضخم في هذه المنطقة واستقرارها السياسي والطبيعي قد أكسبها أهمية اقتصادية كبيرة في العالم وبالتالي تتسابق القوى الإقليمية والدولية للحصول على استثمارات كبرى في مجال الطاقة من خلال عقد اتفاقية اقتصادية تضمن المصالح الاقتصادية لهذه الدول في المنطقة.²

المطلب الثالث: الأهمية الأمنية لمنطقة الشرق الأوسط

تتداخل الأهمية الاقتصادية لمنطقة الشرق الأوسط بأهميتها الأمنية بحيث تنعكس الأخيرة على الدول بشكل واضح، فأمن الممرات البحرية للتجارة الدولية للدول الكبرى، كقناة السويس في مصر، بالإضافة إلى البحر الأحمر وخليج عدن وبحر العرب وهو ما ظهر بوضوح في تركيز الاهتمام الدولي على مسألة مكافحة القرصنة نظرا لما مثل ذلك من مخاطر حمة وهدية على طرق التجارة الدولية يسبب هذا الوضع تهديدا حقيقيا على حركة التجارة الدولية.

حيث من هنا جاء العمل للحيلولة دون تمكين تنظيم القاعدة أو التنظيمات المحلية المتحالفة معه في اليمن من فرض السيطرة على المناطق الساحلية خاصة في جنوب اليمن.

¹ محمد عربي لادمي، مرجع سابق، ص 62.

² كامل محمود عبد الناصر، "التنافس العالمي على النفوذ والثروة في منقطة الشرق الأوسط"، مجلة السياسية الدولية، ع 187، (17 سبتمبر 2015)، ص 47.

ومن خلال هذه الأهمية تضافرت الجهود الأمنية لحماية ممرات التجارة الدولية في منطقة الشرق الأوسط لما لها من انعكاس واضح على المصالح القومية للدول الإقليمية والكبرى.¹

وفي ظل الأوضاع الدولية الراهنة والتنافس الحاصل في منطقة الشرق الأوسط، تقتضي الضرورة مناقشة كيفية الحفاظ على أمن واستقرار المنطقة وذلك بالعمل والتخطيط وضرورة تجاوز أزمة الأمة الحالية وإحباط كل المحاولات الأمريكية والصهيونية لربط المنطقة بمشاريع وأحلاف واتفاقيات وهذه يدعونا للعمل باتجاهين هما:

1- الاتجاه الأول: العمل ضمن إطار جامعة الدول العربية بوصفه منظمة عربية تحقق التضامن العربي وضرورة تطوير هذا العمل بحيث يرقى إلى مستوى التطور الحاصل في العالم في اتجاه التجمعات والتكتلات الاقتصادية والإقليمية، وذلك بتسوية النزاعات العربية بشكل سلمي، والعمل على ضرورة تحقيق التنمية الشاملة في الشرق الأوسط وتشجيع العمل على إقامة الاتحادات العربية الثنائية أو الجماعية مثل: مجلس التعاون الخليجي والاتحاد المغاربي وذلك لضمان الأمن القومي في منطقة الشرق الأوسط.²

2- الاتجاه الثاني: تجديد النظام العربي بحيث يلائم وطموحات الأمة العربية والتطور الحاصل في النظام العالمي، وهذا يتطلب تفعيل آليات العمل بحيث يرقى إلى مستوى تحقيق الوحدة العربية المستندة إلى أسس علمية وجماعية من أجل تحقيق الدولة القومية والعمل بخطوات واسعة لتحقيق نهضة الأمة الشاملة.³

في هذا الإطار يحقق العرب أمنهم القومي ويتعدون عن الأحلاف والاتفاقيات الثنائية مع الدول الغربية التي لا تخدم سوى مصالح الغرب الرأسمالي وأهدافه في إبقاء المنطقة العربية غير مستقرة ومتخلفة من أجل استنزاف الثروات النفطية والمالية.

¹ صباح الموسوي الأحوازي، "الشرق الأوسط واقع وآفاق"، مجلة البيان، ع1، (15 نوفمبر 2017)، ص 17.

² جمال محمود حجر، القوى الكبرى والشرق الأوسط، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1979)، ص 164.

³ جمال محمود حجر، مرجع سابق، ص 164.

المبحث الثالث: الاستقطاب الدولي والإقليمي في منطقة الشرق الأوسط

تعتبر منطقة الشرق الأوسط مركزاً لحالة الاستقطاب الدولي والإقليمي وهي عامل أساسي في إستراتيجيات الدول الكبرى وفي الصراعات، حيث تعتبر منطقة الشرق الأوسط منطقة جذب للقوى الإقليمية مثل إيران، تركيا وإسرائيل والقوى الدولية كالولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وأوروبا وهذا راجع إلى الأهمية الإستراتيجية والاقتصادية للمنطقة.

المطلب الأول: الاستقطاب الإقليمي

شهدت منطقة الشرق الأوسط عدة تغيرات جديدة مثل الصراع العربي الإسرائيلي والتحولت السياسية التي شهدها النظام الإقليمي حيث كل هذه التغيرات برزت من خلالها قوى إقليمية جديدة.¹

أولاً: إيران

تسعى إيران للتأثير في حالة التوازن الإقليمي من خلال رغبتها في الحصول على السلاح النووي، ورغم أن إيران غير مقبولة عربية على المستوى الشعبي، فهناك رفض لأدوارها وتوجهاتها الإقليمية التي زادت مع التعقيدات المنطقة إستراتيجياً.

فالمنطقة مشغولة بالتحويلات السياسية التي أحدثتها ثورة الربيع العربي، الأمر الذي خفف الضغط عن إيران التي لها وجهة نظر اتجاه حالة الأمن الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط.

بعد الاحتلال الأمريكي للعراق 2003 الذي قلب المعادلات الإقليمية وجعل إيران دولة مستهدفة بعد العراق كونها حسب وجهة النظر الأمريكية دولة مارقة ومن ضمن محور الشرق ورعاية الإرهاب وداعمة لحركات المقاومة في لبنان وإسرائيل، وبهذا فإن المشروع الإيراني يستهدف بشكل أساسي من الولايات المتحدة الأمريكية ولكن مقاومتها لهذا الاستهداف وتقدمها التدريجي في برنامجها النووي زاد من حصول تغيير في التوازن الإقليمي.²

وتعتبر إيران قوة إقليمية رئيسية في منطقة الشرق الأوسط وبفضل قدرتها الاقتصادية والعسكرية والبشرية الكبيرة إلى جانب إرثها الحضاري والإمبراطوري الذي لا يمكن إغفاله.³

¹ - محمد عربي لادمي، مرجع سابق، ص 72.

² - محمد حامد الأحمر، محجوب الزويري وآخرون، العرب وإيران: مواجهة في التاريخ والسياسة، (د. د. ن، المركز العربي للأبحاث والدراسات، 2010)، ص 73.

³ - المرجع نفسه، ص 74.

ثانيا: تركيا

عادت تركيا بقوة إلى معادلات الشرق الأوسط بعد طول غياب عبر سياسة إقليمية متوازنة وصاعدة وضعت بلادها في بؤرة الأحداث بعد أن حجزت تركيا مكانة المرجعية الإقليمية في المنطقة، كان الطريق ثابت أمام هذه العودة إذ تصافرت الكواجح الداخلية التركية مع قيود الالتزامات الدولية في مزيج مدهش من العوائق. ألغت السياسة التركية تلك الثنائيات التي استقرت في الأذهان لفترات طويلة، وعلى الأخص ثنائية إما التوجه نحو أوروبا والغرب، والذي يتطلب تنازل عن مد الروابط والجسور نحو الشرق أو التوجه نحو الشرق والجنوب.

استعملت السياسة الخارجية التركية كسارية الثنائيات بشكل عقلاي ومنهجي مستندة إلى خيال سياسي ولكنها أسندت كل ذلك إلى أساس واقعي يعكس وعيا عميقا بتركيبة وهياكل المنطقة، فأحرزت لتركيا أفضة ما يمكن أن تحصل عليه في ظل التوازنات الدولية والإقليمية.¹

شهدت السنوات الأخيرة تزايد الاهتمام بالدور التركي في منطقة الشرق الأوسط وقضاياها لاسيما بعد وصول حزب العدالة والتنمية إلى المنطقة في تركيا في نوفمبر 2000.

شهدت تركيا تطورات إيجابية خلال هذه الفترة لاسيما في أبعدها الاقتصادية، حيث نجحت تركيا في احتلال المرتبة الأولى بين اقتصاديات المنطقة والسادسة عشر على المستوى العالمي من حيث الناتج المحلي الإجمالي.

وصاحب ذلك حضور الدور التركي ونشاطه في العديد من القضايا المحورية في المنطقة سواء فيما يتعلق بالقضية العربية أو الصراع العربي الإسرائيلي² بمسارته المتعددة، أو أزمة البرنامج النووي الإيراني أو طرح تركيا كنموذج في قضايا الإصلاح والديمقراطية في المنطقة بأبعاده المختلفة وغيرها من القضايا الأخرى.

ثالثا: إسرائيل

تنطلق إسرائيل من إستراتيجية تقوم على منطلقات القوة العسكرية والحرب والصراع وموازن القوى وبسط النفوذ اتجاه الدول الغربية، سواء تلك التي وقعت معها اتفاقيات سلام أو تلك التي لم توقع، وأنها

¹ - أولبرايت هادلي، إستراتيجية جديدة للشرق الأوسط، (مركز إدراك للدراسات والاستشارات، ديسمبر 2016)، ص 58.

² - سنتين بالي، "تحولات منطقة الشرق الأوسط على القوى الفاعلة فيها"، في: <http://lbvnews.com/ar/news/20552>، (2017/02/09).

تفترض أن وجودها في خطر من إنشائها لهذا فإن صراعها من الغرب يدفعها للسعي أن تبقى الطرف الآخر الإقليمي الأقوى والمهيمن على المنطقة بما يسمح لها فرض رؤيتها على الدول العربية وسياساتها وأجندتها ولا يأتي ذلك إلا من خلال تحقيق أهداف سياساتها الخارجية.¹

تعتبر إسرائيل أن منطقة الشرق الأوسط أحسن مكان لتطبيق إستراتيجياتها وسياساتها كما يلي:

✓ حماية الأمن القومي الإسرائيلي وفق توجهات نظرتة الأمن القومي التي تشكل جوهر السياسة الإسرائيلية وذلك بالاعتماد على:

1. تهويد الأرض العربية عبر إتباع سياسة استيطانية تقوم بطرد السكان العرب.
 2. مواجهة التنظيمات الفلسطينية السياسية والعسكرية والعمل على تصفية رموزها.
 3. توسيع رقعة الأرض المحتلة عبر العدوان وشن الاعتداءات على الأرض العربية.
- وتؤكد النظرية الإسرائيلية المتعلقة بقضية التوازن الإقليمي على أهمية هيمنتها على منطقة الشرق الأوسط عبر استمرار تفوقها على الدول العربية.²

المطلب الثاني: الاستقطاب الدولي

شهدت منطقة الشرق الأوسط عدة تغيرات، حيث أن هذه التغيرات أبرزت قوى فاعلة جديدة إقليمية ودولية.

أولاً: الولايات المتحدة الأمريكية

تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية أن منطقة الشرق الأوسط منطقة حيوية لصالحها بالنظر إلى موقعها الإستراتيجي وثرواتها النفطية والمالية، حيث تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية أن للشرق الأوسط أهمية بالغة بالنسبة لها.

¹ - ستيفن بالي، مرجع سابق.

² - عاهد مسلم، "العلاقات التركية الإسرائيلية وانعكاساتها على دول الجوار"، مجلة المنارة، م 19، ع4، (2013)، ص

فالولايات المتحدة الأمريكية تمسك بشؤونه مثل موقعه الجغرافي في قلب العالم القديم، وثروتها النفطية وكونه بات يشكل البطن الرخو في النظام العالمي، فضلا عن تحول بعض دوله كمصدر للإرهاب على الأقل. تتمثل الدوافع وراء طرح المبادرة الأمريكية في الشرق الأوسط في عدة اعتبارات يرتبط أغلبها بالتطورات المتلاحقة في المنطقة وخاصة بعد تعثر المشروع الأمريكي في العراق.¹

احترام الوضع والتنافس بين القوى والامتيازات المختلفة في العراق، على أساس طائفي بدرجة متزايدة وتزامن هذه التطورات مع الاعترافات المرتبطة بمنطقة الشرق الأوسط.

تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية الشرق الأوسط مركز للنقط وكذلك للسلاح والطاقة، وكذلك تعتبره مهد الديانات السماوية الثلاثة.

يمكن القول أن الإستراتيجية الأمريكية اتجاه الشرق الأوسط لم يصبها الكثير من التغييرات الجوهرية بعد نهاية الحرب الباردة وربما يكون الجديد في هذا الشأن هو إعادة تقدير التهديدات الخارجية ويقضي بالضرورة إلى تطوير الإستراتيجيات للدفاع عن منطقة الشرق الأوسط.²

ثانيا: روسيا

فرضت الجغرافيا على روسيا الاهتمام بالشرق الأوسط بحكم أنها تشغل الحيز الأكبر من الكتلة الأوروبية الآسيوية الملاصقة للشرق الأوسط، حيث عادت روسيا الاتحادية في عهد الرئيس بوتين لتولي اهتماما بالشرق الأوسط بعد فترة ساد فيها تراجعاً واضحاً لسيادتها نتيجة تدهور الأوضاع الداخلية.

وتعتبر روسيا أن منطقة الشرق الأوسط لها أهمية كبيرة تبرز من خلال ما يلي:

- تحقيق الأمن للحدود الجنوبية ومنع امتداد الصراعات الإقليمية إلى المناطق الجنوبية من كومنولث الدول المستقلة الذي نشأ بعد تفكك الاتحاد السوفياتي، ولاسيما أن روسيا تنظر إلى منطقة آسيا الوسطى والمنطقة العربية على أنهما أصبحتا مشتركتين في تكوين ما يطلق عليه القادة الروس اسم "الفضاء الإسلامي الموحد" فتخشى روسيا من اندلاعات إقليمية متصاعدة تنعكس على نطاق واسع وتمس مصالحها السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية.

¹ - حسن حافظ وهيب، "إستراتيجية الإدارة الأمريكية إزاء الشرق الأوسط"، مجلة الدراسات الدولية، ع 46، ص 50.

² - علي فايز يوسف الدلابيح، مرجع سابق، ص 18.

- ضمان المصالح الروسية في منطقة الشرق الأوسط عموماً والمنطقة العربية على وجه الخصوص على مختلف المستويات.¹

- كذلك ترى روسيا أن عليها استغلال القدرات الاقتصادية للمنطقة، إذ ترى أن هناك إمكانية إقامة روابط اقتصادية بين روسيا ودول المنطقة.

- السعي الروسي إلى إيجاد حزام أو كتلة من الدول تقف في وجه القطبية الأحادية وتساهم في ممارسة الضغط على الولايات المتحدة الأمريكية كي تتاح لروسيا فرصة الدخول في عملية السلام وإقامة أن لديها قدرة ومكانة على الساحة الدولية.

- إعادة تأكيد الوجود النسبي الروسي في منطقة الشرق الأوسط إذ ترى روسيا أنه إذا ما أرادت أن تحفظ هيمنتها على آسيا الوسطى فيجب أن تعمل على تطوير العلاقات مع إيران.²

سعت روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي إلى هيكلة سياستها اتجاه الشرق الأوسط فقد وسعت إستراتيجياتها السياسية اتجاهه وفق أهدافها الاقتصادية ومصالحها الإستراتيجية وتمثل مصالح روسيا في منطقة الشرق الأوسط على النحو التالي:

- تعامل روسيا مع العالم العربي ككيان إقليمي.
- العامل الجغرافي وتجاوز الحدود يشكل بحد ذاته عامل ذو أثر إيجابي في تعزيز العلاقات.
- روسيا قامت بعلاقات وخطوات مهمة باتجاه العالم العربي.
- العالم العربي ينتظر دوراً روسيا أكثر أهمية في عملية السلام وحل القضية الفلسطينية وهي العامل المحوري في العلاقات العربية الدولية والدور الروسي يكون مميز عن الدور الأمريكي والغربي المؤيد بشكل كبير لإسرائيل وعدوانها على العالم العربي.³

ثالثاً: أوروبا

اكتسبت منطقة الشرق الأوسط أهمية خاصة في السياسة الأوروبية وذلك للأسباب التالية:⁴

- ضمان الإمدادات النفطية لأوروبا من دول المنطقة بعدها المزود للنفط للدول الأوروبية.

¹- عبد الرزاق بوزيدي، مرجع سابق، ص 77.

²- زبيغنيو بريجنس، الاختيار السيطرة على العالم أم قيادة العالم؟، (بيروت: دار الكتاب العربي، 2004)، ص 12.

³- المرجع نفسه، ص 16.

⁴- عبد الوهاب، القوى الدولية في الشرق الأوسط، مجلة السياسة الدولية، ع 130، (1997)، ص 49.

- ضمان الحفاظ على الأسواق الضخمة للصادرات الأوروبية في منطقة الشرق الأوسط سواء الصناعية منها أو الرأسمالية.
- عدم سيطرة أي دولة كبرى على منطقة الشرق الأوسط لأنه قد يعرض المصالح الأوروبية للخطر.
- ضمان الاستقرار السياسي والاقتصادي في منطقة الشرق الأوسط وذلك حتى تتمكن أوروبا من حماية مصالحها الإستراتيجية والاقتصادية.
- تأتي أهمية الشرق الأوسط بالنسبة للاتحاد الأوروبي أيضا من خلال الشراكة الأوروبية المتوسطة والذي طرحه الاتحاد الأوروبي من أجل إعادة الحيوية لدوره في المنطقة بعد أن شهد الدور الأوروبي تراجع لصالح الولايات المتحدة الأمريكية التي تمكنت من فرض سيطرتها على المنطقة.
- ضمان الاستقرار السياسي والاقتصادي في منطقة الشرق الأوسط حتى تتمكن من حماية مصالحها الإستراتيجية والاقتصادية.
- التعاون في مكافحة الإرهاب والتطرف اللذين أصبحا يثيران قلقا شديدا في بعض الدول الأوروبية إضافة إلى منع انتشار الأسلحة النووية.
- حلم السيطرة الأوروبية على البلدان العربية وثرواتها بعد سقوط الاستعمار الأوروبي.
- تحقيق الاستيعاب الثقافي وتوسيع لتحقيق الاستيعاب الحضاري للمنطقة عن طريق نقل العادات والتقاليد الغربية من أجل تأمين هذه المنطقة المهمة التي تمثل المعبر إلى إفريقيا.¹

¹ - عبد الوهاب، مرجع سابق، ص 51.

خلاصة الفصل الثاني

يتضح من خلال الدراسة السابقة أن مصطلح الشرق الأوسط صناعة غربية وأنه يطلق عليه المنطقة العربية بشكل ثابت بينما يتمدد النطاق الجغرافي أحيانا ليشمل دولا أخرى مجاورة أو ينكمش وفقا لطبيعة وأهداف النظام أو الصفة المقصودة لمفهوم الشرق الأوسط، أي أنه تعبير عن منطقة جغرافية متغيرة، وفقا لأهداف ومصالح القوى المسيطرة والتي تختلف من مرحلة إلى أخرى.

ويعتبر مصطلح الشرق الأوسط من المفاهيم الغامضة والواسعة التي لم يتفق العلماء والأكاديميين على تعريف شامل له.

الفصل الثالث :

من كزيت، منطقة الشرق الأوسط

في الجيوبولوتيك البريطاني

تعد بريطانيا ذات تاريخ عريق فهي من الدول العظمى التي تمتلك اقتصاد عالمي كبير واستثمارات ضخمة، فهي دولة قوية من جميع الجوانب كالجوانب البرية والصناعية والاقتصادية وغيرها. حيث تعد بريطانيا أنها تمتلك دعائم تاريخية وأخرى اقتصادية مما جعلها قوة اقتصادية عالمية وتتميز بريطانيا بعلاقاتها في الشرق الأوسط من خلال مجالين، المجال العربي من خلال علاقاتها مع دول الخليج العربي ومصر من خلال تأسيس قناة السويس وباب المندب... الخ، والعراق، والمجال غير العربي كإيران وتركيا وإسرائيل حيث تعمل من أجل مصالحها وتحقيق اقتصاد أكبر وأضخم وتوجد عدة تداعيات لانفصال بريطانيا عن الاتحاد الأوروبي مثل التداعيات الاقتصادية والتداعيات الجيوسياسية والأمنية وذلك لتعيد بناء اقتصادها واستثماراتها خاصة في الشرق الأوسط، فبعد الانفصال عمل على توطيد علاقاتها خاصة مع دول الخليج العربي، من أجل توسيع تجارتها واستثماراتها مع دول العالم العربي وتصبح هي والاتحاد الأوروبي متنافسان.

المبحث الأول: مرتكزات القوة البريطانية في منطقة الشرق الأوسط

توجد العديد من القوى في العالم حيث أن كل قوة تمتلك مرتكزات أو دعائم تختلف عن قوة أخرى فمثلا مجد دولة بريطانيا تمتلك دعائم تاريخية تتمثل في الوصاية على الشرق الأوسط، الوصاية على دولة إسرائيل ودعائم اقتصادية تتمثل في الاستثمارات، وتستخدم هذه القوة حسب مصالحها، فنجدها تحط رحالها في منطقة الشرق الأوسط باعتبارها منطقة غنية بالثروات الطبيعية وهذا ما سنتطرق إليه في هذا المبحث.

المطلب الأول: مرتكزات تاريخية

بريطانيا قوة عظمى تمتلك مؤهلات تجعلها تحتل مكانة دولية وعالمية ومن بين هذه المرتكزات التاريخية الوصاية البريطانية على منطقة الشرق الأوسط.

في عام 1914م اندلعت الحرب العالمية الأولى بين قوى دولية متصارعة: فرنسا وروسيا وبريطانيا من جهة ومن جهة أخرى قوى في مقدمتها ألمانيا والدولة العثمانية، ولم تكن المدافع والمفاوضات هي من يغير شكل العالم بل كانت ثمة اجتماعات سرية بين الحلفاء الذين تقاسموا الغنائم منتظرين لحظة إعلان النصر. في أحد هذه الاجتماعات كان الدبلوماسي البريطاني "مارك سايكس" ونظيره الفرنسي "فرانسوا بيكو" يجوضان مفاوضات شاقة انتهت بتقاسم أراضي الحرب وأوزارها.

تقاسم الفرنسيون والبريطانيون الدول العربية الواقعة شرقي المتوسط عام 1916 فيما عرفته باتفاقية "سايكس بيكو"، أما فلسطين فوضعت تحت وصاية دولية خارج الاتفاقية.

الإنجليز والروس والفرنسيين لم يتمكنوا من إبرام اتفاق لأن الجميع كانوا يريدون فلسطين لأنها تمثل ماضيا عريقا لبريطانيا وفرنسا وقرية من قناة السويس، الاتفاقية لم ينظر إليها في بريطانيا بارتياح وفق ما يقوله رئيس قسم الشرق الأوسط بجامعة أكسفورد "يوجين روغان" وإن المسؤولين البريطانيين بمن فيهم "مارك سايكس" يرون فيها أنها اتفاقية سيئة، لأنها لم تراعى مصالح بريطانيا وفي هذا الوقت أثير مشروع الحركة الصهيونية وأحلام جزء من اليهود أن يكون لهم وجود بفلسطين وهذا ما أسس لإعلان بلفور.¹

يعتبر دخول بريطانيا الحرب العالمية الأولى (1914-1918) حيث كانت بريطانيا بحاجة إلى الدعم اليهودي سياسيا وعلميا خلال الحرب العالمية الأولى، وفي نفس الوقت كانت الحركة الصهيونية تبحث عن دعم مشروعها بإقامة وطن قومي لليهود أو إقامة دولة إسرائيل، ولقد كان "هرتزل" وبعض قادة الحركة

¹ "وعد بلفور مشروع صهيوني برعاية وحماية بريطانيا"، في: www.aljazeera.net/news/alquds/20 (2017/10/30).

الصهيونية يميلون لألمانيا والدولة العثمانية في محاولة من أجل تحقيق حلمهم في وطن قومي لليهود، لكن هذه الرغبة قوبلت بفتور من جانب ألمانيا وقوبلت برفض تام من الخليفة العثماني، حيث استغلت بريطانيا هذا الحلم لدى الحركة الصهيونية من أجل¹ استمالتهم إلى صفها في الحرب العالمية الأولى فظنت بريطانيا أن في هذا فائدة كبيرة ووجدت الحركة الصهيونية من يدعم مشروعها، ومن هذا جاءت الوصاية البريطانية على إقامة دولة إسرائيل.²

وعد بلفور أو تصريح بلفور (Balfour Déclaration) هو الاسم الشائع المطلق على الرسالة التي أرسلها "آرثر جيمس بلفور" بتاريخ 02 نوفمبر 1917 إلى اللورد "ليونيل وولتر دي روتشيلد" يشيد فيها إلى تأييد الحكومة البريطانية إلى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

عند صدور وعد بلفور كان تعداد اليهود في فلسطين لا يزيد عن 5% من مجموع عدد السكان، فقد أرسلت الرسالة قبل شهر من احتلال الجيش البريطاني فلسطين، يطلق المناصرون للقضية الفلسطينية عبارة وعد من لا يملك لمن لا يستحق لوصفهم هذا الوعد.³

وعد بلفور أو بيان بلفور علي أصدرته الحكومة البريطانية في الحرب العالمية الأولى لإعلان دعم تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين التي كانت منطقة عثمانية ذات أقلية يهودية.

بعد إعلان المملكة المتحدة الحرب على الدولة العثمانية في نوفمبر 1914، بدأ مجلس وزراء الحرب البريطاني حالاً في النظر في مستقبل فلسطين بحلول أواخر 1917، قبيل إعلان بلفور وتوصل الحرب العالمية الأولى إلى طريق مسدود إذ لم تشارك خليفنا بريطانيا بالحرب بشكل كامل، فالولايات المتحدة الأمريكية لم تعاني من ضرر كبير بسبب الحرب، فكان الروس في خضم ثورة 1917، كسرت حالة الجمود جنوب فلسطين بقيام معركة بئر السبع في 31 أكتوبر 1917.

في 1916 اتفق كل من الفرنسي "فرنسوا بيكو جورج" والبريطاني "مارك سايكس" على وضع فلسطين تحت إدارة دولية في إطار تقسيم المقاطعات العربية التابعة للعثمانيين بين فرنسا وبريطانيا. سعت بريطانيا إلى الاستفادة من الطموحات الصهيونية معتبرة أن الاعتراف بإقامة دولة إسرائيل يخدم ويضمن مصالحها في الشرق الأوسط.

¹ - "لا غفران لبلفور أو بريطانيا أو العرب في إقامة دولة إسرائيل"، في: www.bbc.com/arabic/41785127. (2017/10/28).

² - المرجع نفسه

³ - "تقرير بعنوان: وعد بلفور"، (محمد البيان، 2017)، ص 19.

في الثاني من نوفمبر 1917 وجه "آرثر بلفور" إلى الممثل الأعلى للطائفة اليهودية البريطانية اللورد "وولتر دي روتشيلد" رسالة مطبوعة صادقت عليها الحكومة البريطانية وطلب منه فيها أن يبلغ مضمونها إلى الاتحاد الصهيوني.

شكل هذا النص القصير المؤلف من 67 كلمة باللغة الإنجليزية نصرا كبيرا لرئيس الصهاينة في المملكة المتحدة "حاييم وايزمان" الذي أصبح فيما بعد أول رئيس لدولة إسرائيل، حيث لم يتم التشاور مع العرب في الشرق الأوسط في هذا الشأن ولا حتى إبلاغهم.

كان لهذا الوعد آثار طويلة الأمد كثيرة فقد زاد هذا الوعد من الدعم الشعبي للصهيونية في أوساط المجتمعات اليهودية وفي أنحاء العالم وقاد إلى قيام فلسطين الانتدابية وهو المصطلح الذي يشير حاليا إلى إسرائيل وقد تسبب هذا الوعد بقيام الصراع العربي الإسرائيلي الذي يشار إليه بأكثر صواغات العالم تعقيدا.

وتوجد العديد من الأسباب التي تدعم فكرة الصهيونية، وهي أن العنصر الحضاري الذي يمكنه أن يحتل فلسطين هو اليهود، إن البلاد أفقر من أن تجذب غيرهم، فهي غنية بالذكريات وبالآمال وإذا حصل ما هو مستحيل إن بدت البلاد جيدة في أعين غير اليهود فإن الغيرة ستدب بين الأمم وإن أوروبا ستشجع اليهود على الاحتلال أكثر من غيرهم وربما مستعدة لهذا التشجيع ليس لأن لهم الحق التاريخي الذي يضمنه لهم أقدم كتب البشرية وإنما بسبب الشعور السائد في كل مكان شعور العمل على إخراج اليهود.

ومن بين أسباب تبني بريطانيا لدولة إسرائيل هي أن بريطانيا تجند هجرة اليهود إلى فلسطين لتتخلص من العرق السامي الذي زاد كثيرا وكانت بريطانيا أيضا قلقة من هجرة يهود روسيا وأوروبا الشرقية الذين كانوا يتعرضون للاضطهاد، وفي عام 1902م تشكلت اللجنة الملكية لمجزرة الغرباء.¹

يقول "حاييم وايزمان" في حالة وقوع فلسطين في دائرة النفوذ البريطاني وفي حالة تشجيع بريطانيا استيطان اليهود هناك فتستطيع خلال عشرين أو ثلاثين سنة من نقل مليون يهودي أو أكثر إليها فيطورون البلاد ويشكلون حارسا فعالا يحمي قناة السويس.

كما قالت بريطانيا أن اعترفت بدولة إسرائيل ووضعتها تحت السيطرة المشتركة ونهرا الليطاني فمنايع نهر الأردن تحت السيطرة الفرنسية المباشرة والجولان تحت النفوذ الفرنسي.

¹ - "وعد بلفور مشروع صهيوني برعاية وحماية بريطانيا"، مرجع سابق.

بريطانيا كانت تبحث فقط عن مصالحها من خلال إقامة دولة إسرائيل لمساندتها وهذه المصالح توافقت مع الحركة الصهيونية، حيث لم تجرد حدودا معينة لهذا الوطن القومي لليهود، بل جعلت الوعد عاما لترسم هذه الحدود حسب ما يناسب مصالحها فيما بعد.

طلبت بريطانيا السيطرة على أرض إسرائيل وفي عام 1919 قدمت بريطانيا لمؤتمر الصلح اقتراح مفصل لأرض إسرائيل، وفي عام 1919 الحركة الصهيونية أيضا قدمت تصور لها لحدود وطنها القومي في المستقبل والحدود لإسرائيل على أن تضم الجزء الجنوبي من لبنان وجبال حرمون والعقبة ونهر الأردن وقد قررت بريطانيا للسماح بإقامة دولة إسرائيل يجب أن تشمل الحدود الإسرائيلية وتشمل الموارد التي تسمح بقيام دولة حديثة في أرض إسرائيل، فاهتم البريطانيون بموارد المياه مثل نهر الليطاني ومنابع نهر الأردن وجبل الشيخ الذي اعتبره خزان ماء أرض إسرائيل.

وهكذا تم إقامة أو تأسيس دولة إسرائيل من قبل بريطانيا وذلك لم تراه مناسب في خدمة مصالحها.¹

الوصاية البريطانية على دول الخليج العربي -عمان-

منذ أن وطأت أقدام الانجليز عمان دعوا إلى تقسيمها إلى ثلاثة أقسام: سلطنة عمان، إمارة عمان، وساحل عمان، أخذت بريطانيا منذ مطلع القرن العشرين بتشجيع سلطان مسقط لإحلال إمارة عمان، فوقفت إلى جانبه في النزاع الذي نشب بينه وبين إمارة عمان بقيادة الغمام غالب بم علي تحذوها الرغبة في احتلال داخل عمان التي أشارا المعلومات إلى وجهة النفط فيها، فقد تعاونت معه لاحتلال إمارة عمان عام 1959 وضمت أخيرا إلى مسقط في دولة واحدة باسم سلطنة عمان ولجأت الحركة الوطنية بقيادة غالب بم علب إلى حرب العصابات وهاجمت قوات الحركة بمناطق بريطانية ومعدات وشركات النفط، فبدأت بريطانيا بتغيير سياستها أي التفاوض واختار الإمام أن يكون ذلك بإشراف لجنة محايدة إلى الجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة بعد سحب بريطانيا قواتها من الأراضي العمانية واعترافها باستقلال عمان وهو ما لم توافق عليه بريطانيا.

امتدت الحركة إلى ظفار عام 1960 بقيادة الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي المحتل ولكن هذه الحركة انتهت لاعتلاء السلطان قابوس بن سعيد العرش في 1970 وعمل على استيعاب مطالبها وتحسن علاقاتها مع العالمين العربي والأجنبي كنا عمل على ازدهار بلده وتقدمها بعد اكتشاف البترول في السلطنة.²

¹ - وعد بلفور، مرجع سابق، ص 21.

² - "الوصاية البريطانية على الشرق الأوسط"، في:

الكويت: خضعت الكويت للحماية البريطانية بموجب معاهدة عقدت في 1988 بيم الشيخ مبارك الصباح والمقيم البريطاني تعهد فيها الشيخ أن لا يرهن أو يبيع أو يتنازل عن أي جزء من أراضي الكويت لا بموافقة المقسم البريطاني كما وقع تعهدا لبريطانيا بعدم منح امتيازات للتنقيب عن النفط واستثمارها دون استشارتها وفي عهد هذا الشيخ عبد الله السالم الصباح، تم إعلان استقلال الكويت بموجب معاهدة كويتية بريطانية في 19 حزيران 1961 تضمنت إلغاء اتفاقية 1899 واستمرار التعاون مع بريطانيا وانضمت الكويت إلى جامعة الدول العربية وهيئة الأمم المتحدة.

الإمارات العربية وقطر والبحرين: تبعت بريطانيا سياسة استعمارية تقوم على تجزئة هذه الأقطار وإضعافها لاستمرار السيطرة عليها وذلك في فترة الحرب العالمية الثانية، لكن تضافرت بعد ذلك مجموعة من العوامل أدت إلى اقتراح هذه الإمارات إقامة اتحاد فيها بتشجيع من بريطانيا.¹

وعوامل قيام الاتحاد الإماراتي:

- عزم بريطانيا على سحب قواتها من شرق قناة السويس؛
- تنامي الحركات التحررية في الوطن العربي؛
- تنامي الروح القومية لدى الشعب العربي في الخليج العربي؛
- اشتعال الثورة في ضفارة عمان

وتألف هذا الاتحاد من سبعة إمارات أطلق عليها اسم الإمارات العربية المتحدة سنة 1971 ووقع معاهدة صداقة مع بريطانيا أما قطر والبحرين فقد اختارتا الاستقلال وأما الإمارات السبعة التي شاركت في هذا الاتحاد فهي الفجيرة أبو ظبي، دبي، الشارقة، عجمان ، رأس الخيمة، أم القيوين وهكذا جاءت الحماية البريطانية على منطقة الخليج العربي وتطورت من أجل خدمة مصالحها.²

ظلت فلسطين من الناحية الجغرافية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى جزء لا يتجزأ من بلاد الشام وكانت تعرف حين ذاك باسم سوريا الجنوبية وحتى ذلك التاريخ كانت فلسطين تابعة للسيطرة العثمانية في 1919، وقت فلسطين تحت وصاية وسيطرة القوات العسكرية البريطانية بقيادة الجنرال ايليمي التي أحكمت سيطرتها الكاملة عليها في أواخر سبتمبر 1918 ألا أنها قامت بتطبيق الأحكام العسكرية عليها، ومنشور

¹- "دول الخليج والحماية عليها"، في:

(2016-08-09) ، <https://www.odl.ka.news>

²- المرجع نفسه.

الأحكام العرفية في القدس الشريف والذي أكد فيه أن المدينة أصبحت راضحة للأحكام العرفية وأن هذا النظام يظل ساريا فيها مادامت الاعتبارات الحربية تقتضي ذلك كما وأعلن عن إنشاء إدارة عسكرية عرفت باسم الإدارة الجنوبية لبلاد العدة المحتلة وقد اسمرت هذه الأزمة ثلاثة أشهر حتى عام 1920 حين حلت محلها إدارة مدنية ابتداءً من 1920/07/10 في هذه الإثناء قامت الوصاية البريطانية والإدارة العسكرية في فلسطين بإتباع الأنظمة و القوانين التي كانت سائدة في العهد العثماني مع إجراء بعض التعديلات الضرورية عليها وهكذا كانت وصاية بريطانيا على مجموعة من الدول كمنطقة الخليج العربي ودولة فلسطين وإسرائيل.¹

الوصاية البريطانية على دول الخليج العربي -عمان-

منذ أن وطأت أقدام الانجليز عمان دعوا إلى تقسيمها إلى ثلاثة أقسام: سلطنة عمان، إمامة عمان، وساحل عمان، أخذن بريطانيا منذ مطلع القرن العشرين بتشجيع سلطان مسقط لإحلال إمامة عمان، فوفقت إلى جانبه في النزاع الذي نشب بينه وبين إمامة عمان بقيادة الغمام غالب بم علي تحذوها الرغبة في احتلال داخل عمان التي أشارا المعلومات إلى وجهة النفط فيها، فقد تعاونت معه لاحتلال إمامة عمان عام 1959 وضمت أخيرا إلى مسقط في دولة واحدة باسم سلطنة عمان ولجأت الحركة الوطنية بقيادة غالب بم علب إلى حرب العصابات وهاجمت قوات الحركة بمناطق بريطانية ومعدات وشركات النفط، فبدأت بريطانيا بتغيير سياستها أي التفاوض واختار الإمام أن يكون ذلك بإشراف لجنة محايدة إلى الجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة بعد سحب بريطانيا قواتها من الأراضي العمانية واعترافها باستقلال عمان وهو ما لم توافق عليه بريطانيا.

امتدت الحركة إلى ظفار عام 1960 بقيادة الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي المحتل ولكن هذه الحركة انتهت لاعتلاء السلطان قابوس بن سعيد العرش في 1970 وعمل على استيعاب مطالبها وتحسن علاقاتها مع العالمين العربي والأجنبي كنا عمل على ازدهار بلده وتقدمها بعد اكتشاف البترول في السلطنة.²

الكويت: خضعت الكويت للحماية البريطانية بموجب معاهدة عقدت في 1988 بيم الشيخ مبارك الصباح والمقيم البريطاني تعهد فيها الشيخ أن لا يرهن أو يبيع أو يتنازل عن أي جزء من أراضي الكويت لا بموافقة المقسم البريطاني كما وقع تعهدا لبريطانيا بعدم منح امتيازات للتنقيب عن النفط واستثمارها دون استشارتها وفي عهد هذا الشيخ عبد الله السالم الصباح، تم إعلان استقلال الكويت بموجب معاهدة كويتية

¹ - الوصاية و البريطانية على الشرق الأوسط، مرجع سابق.

² - "الوصاية البريطانية على الشرق الأوسط"، في:

بريطانية في 19 حزيران 1961 تضمنت إلغاء اتفاقية 1899 واستمرار التعاون مع بريطانيا وانضمت الكويت إلى جامعة الدول العربية وهيئة الأمم المتحدة.

الإمارات العربية وقطر والبحرين: تبعت بريطانيا سياسة استعمارية تقوم على تجزئة هذه الأقطار وإضعافها لاستمرار السيطرة عليها وذلك في فترة الحرب العالمية الثانية، لكن تضافرت بعد ذلك مجموعة من العوامل أدت إلى اقتراح هذه الإمارات إقامة اتحاد فيها بتشجيع من بريطانيا.¹

وعوامل قيام الاتحاد الإماراتي:

- عزم بريطانيا على سحب قواتها من شرق قناة السويس؛
- تنامي الحركات التحررية في الوطن العربي؛
- تنامي الروح القومية لدى الشعب العربي في الخليج العربي؛
- اشتعال الثورة في ضفارة عمان

وتألف هذا الاتحاد من سبعة إمارات أطلق عليها اسم الإمارات العربية المتحدة سنة 1971 ووقع معاهدة صداقة مع بريطانيا أما قطر والبحرين فقد اختارتا الاستقلال وأما الإمارات السبعة التي شاركت في هذا الاتحاد فهي الفجيرة أبو ظبي، دبي، الشارقة، عجمان ، رأس الخيمة، أم القيوين وهكذا جاءت الحماية البريطانية على منطقة الخليج العربي وتطورت من أجل خدمة مصالحها.²

ظلت فلسطين من الناحية الجغرافية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى جزء لا يتجزأ من بلاد الشام وكانت تعرف حين ذاك باسم سوريا الجنوبية وحتى ذلك التاريخ كانت فلسطين تابعة للسيطرة العثمانية في 1919، وقت فلسطين تحت وصاية وسيطرة القوات العسكرية البريطانية بقيادة الجنرال ايلمي التي أحكمت سيطرتها الكاملة عليها في أواخر سبتمبر 1918 إلا أنها قامت بتطبيق الأحكام العسكرية عليها، ومنشور الأحكام العرفية في القدس الشريف والذي أكد فيه أن المدينة أصبحت راضحة للأحكام العرفية وأن هذا النظام يظل ساريا فيها مادامت الاعتبارات الحربية تقتضي ذلك كما وأعلن عن إنشاء إدارة عسكرية عرفت باسم الإدارة الجنوبية لبلاد العدة المحتلة وقد استمرت هذه الأزمة ثلاثة أشهر حتى عام 1920 حين حلت محلها إدارة مدنية ابتداء من 1920/07/10 في هذه الإثناء قامت الوصاية البريطانية والإدارة العسكرية في فلسطين

¹- "دول الخليج والحماية عليها"، في:

(2016-08-09)، <https://www.odl.ka.news>

²- المرجع نفسه.

بإتباع الأنظمة و القوانين التي كانت سائدة في العهد العثماني مع إجراء بعض التعديلات الضرورية عليها وهكذا كانت وصاية بريطانيا على مجموعة من الدول كمنطقة الخليج العربي ودولة فلسطين وإسرائيل.¹

المطلب الثاني: مرتكزات اقتصادية

تتداخل عوامل القوة في بريطانيا فتختلف من عوامل استعمارية إلى اقتصادية تتمثل في الاستثمارات والتجارة والصناعة مما جعلها قوة اقتصادية عظمى وهذا ما سنتطرق إليه فيما يلي:

— ليس من الصعب أن نفهم السبب الذي حمل الإنجليز على احتلال الهند لأن الأساس الكامل الذي تقوم عليه الرأسمالية هو التنافس الوحشي والاستغلال، وما الاستعمار إلا مرحلة من مراحلها.

— فتح البريطانيون بلاد الهند الواسعة الزاخرة بالسكان في القرن الثامن عشر بأموال وخبرات الهند وجنودها من أجل التوسع والاستثمار وبناء اقتصاد قوي ومتميز يضمن لهذه القوة البقاء والاستمرارية.

— لم يكن للوجود البريطاني في الهند في البداية أبعاد دينية تبشيرية بل كان مركزاً أساساً على البعد التجاري والاقتصادي وكانت أول مرحلته استثمار في الهند من خلال شركة الهند الشرقية التي تعتبر بمثابة بداية الاستثمار الاقتصادي البريطاني.

— ومن أهم أهداف بريطانيا في الهند الرغبة في ممارسة التجارة الحرة والحصول على الأرباح أي أن العامل الاقتصادي كان واضحاً وقوياً في السياسة الاستعمارية البريطانية اتجاه الهند، وقد زادت الظروف السائدة يومئذ من أهمية وقوة العامل الاقتصادي، فبريطانيا كانت آنذاك رائدة في الثورة الصناعية وكان اقتصادها يتوسع بسرعة ملحوظة وكبيرة وكانت تبحث عن الأسواق الخارجية لتصريف منتجاتها الصناعية.

— منافذ لاستثمار رؤوس الأموال:

بدأت مناطق جنوب وشرق آسيا كأسواق غير محدودة لتجارة المنسوجات القطنية، في حين كانت المناطق الباردة في وسط آسيا وشماليها الشرقي تمثل أسواق مهمة للمنتجات الصوفية.

— العامل الإستراتيجي الأمني بمعنى حماية الهند من أية أخطار خارجية محتملة خاصة من ناحية الشمال الغربي المدخل الطبيعي للغزاة في كل العصور، وحيث يمكن التهديد الروسي بالتوسع في أفغانستان ومن ثمة في الهند.

¹ - الوصاية والبريطانية على الشرق الأوسط، مرجع سابق.

- سيطر الإنجليز بفضل تفوقهم العسكري على الإمارات الهندية فسقطت إمبراطورية المغول واحتكرت الشركة الإنجليزية تجارة الهند.¹
- ظهرت أطماع البريطانيين في الهند من خلال شركة الهند الشرقية البريطانية فقد اتسمت الشركة بالمظالم والفساد وأخذت أحوال الهند في التدهور.
- في سنة 1858م قررت إنجلترا حل شركة الهند الشرقية وضمن إليها ممتلكات التاج البريطاني وأصبحت الهند مستعمرة بريطانية تتبع في إدارتها التاج البريطاني وأدخلت الحضارة البريطانية في الهند واستحوذت على كل ثرواتها ورفعت الهند من مستوى ميزانية بريطانيا وارتفعت قيمة اسم بريطانيا من خلال شركة الهند الشرقية وتجارها واستثماراتها وأصبحت معروفة في سوق المال العالمي.²
- أصبحت الهند سوقا تروج فيه المنتجات البريطانية حيث ربط الإنجليز الهند بشبكة مواصلات حديثة وهي السكك الحديدية وكذلك استولوا على الأراضي البور وزرعوها من طرف الفلاحين الهنود الفقراء بأجور زهيدة وهذا من أجل استثماراتهم في هذه المنطقة.
- قام البريطانيون بإنشاء أجهزة الاتصال والمدارس والجامعات في كل من كالكتا وبومباي ومدارس سنة 1857م.
- فتحت بريطانيا أبواب التعليم من أجل إنتاج الكتبة وبالتالي الحصول على الأموال بفضل هذه التجارة والتوسع.
- قامت بريطانيا باحتكار الملح لنفسها في الهند وبيعه للهنود ومن وجد من الهنود حاملا قبضة من الملح لم تخرج من تحت يد الإنجليز عدا مهربا ومجرما وعوقب بأقصى أنواع العقوبات.
- كان الهنود يعتبرون أن لمكافحة البريطانيين جعل المغزل محور الهند والكفاح الاقتصادي للقضاء عليهم وعدم توسعهم، وهو أن يغزل كل فرد أو كل أسرة من القطن خيوط ما يحتاجه من ملابس وينسجها على نفل بسيط صغير في البيت، وبما أن الهند بلاد حارة لا حاجة للمواطن إلى ملابس كثيرة ولا ثقيلة، وهذا كله من أجل مقاطعة المنسوجات البريطانية لعدم التجارة والاستثمار والتوسع.

¹ - مازن لوثر، تقرير بعنوان: الهند رحلة تطور، (معهد السلام، 2013)، ص 27.

² - "اقتصاد الهند الدور والمستقبل في نظام عالمي جديد"، في: <http://www.alaraby.co.uk>، (2017/09/23).

- في سنة 1930 أدركت الحكومة البريطانية مدى خطورة المغزل اليدوي الهندي الذي اشتهر وأصبح في كل منزل على الصناعة البريطانية، فقد هبطت الواردات بمقدار الثلث تقريبا وهكذا ظهر للحكومة البريطانية أن أسلوب الهنود رغم بساطة مظهره فهو أشد وأقصى مما كانت تتصور بريطانيا.¹
- كذلك تعتبر من مرتكزات القوة الاقتصادية البريطانية مثلا في نيجيريا وقبل ختام القرن 16م كانت هناك شركات تجارية بريطانية تزاوّل نشاطها في غرب إفريقيا تمتلك مجموعة من المراكز التجارية بين غينيا وسيراليون وحتى الثمانينات من القرن الثامن عشر كانت بريطانيا تحتفي بالنفط والحصون الساحلية، فلم يكن هناك في ذلك الوقت دافع يجعلها تخاطر بالتوغل إلى داخل القارة فالاستغلال الاقتصادي لثروة القارة البشرية والمعدنية كان يتحقق دون هذا التوغل قد كان التجار الإفريقيون يحضرون السلع إلى الساحل حيث النفط والحصون فتم عمليات المتاجرة والتبادل، عندما تشابكت المصالح التجارية والاستعمارية والاستكشافية بالإضافة إلى رغبة بريطانيا في القضاء على تجارة الرقيق وهذا أدى إلى توغلها داخل القارة.
- هذا التوغل كان صدى الثورة الصناعية في بريطانيا ومتطلباتها أيضا لفقدانها أسواق أمريكا الشمالية بسبب حرب الاستقلال الأمريكية كل هذه العوامل تجمعت معا وأدت إلى انطلاق بريطانيا في القرن التاسع عشر إلى التوسع حتى كونت أوسع إمبراطورية بحرية شهدها التاريخ وخرجت بنصيب وافر من المستعمرات في غرب إفريقيا شملت غانا ونيجيريا وسيراليون وجامبيا.
- لقد كانت دوافع الاستعمار البريطاني تابعة من صميم الواقع البريطاني، ولم تنفذ إلا بعد دراسة عميقة لمقتضيات المصالح البريطانية، فالتقدم الصناعي الذي حازته إنجلترا خلال الجزء الأول من القرن التاسع عشر هو الذي وجه أنظار البريطانيين نحو الخارج ومن ثم أصبح التوسع ضرورة تحتمها الظروف من أجل الاستثمار وبناء قوة اقتصادية بريطانية عظمى.²
- تميز الاقتصاد في نيجيريا قبل الاستعمار البريطاني بطابعه التقليدي الذي يهدف إلى إشباع حاجات القبائل التي كانت إما رعوية أو زراعية، وكانت الملكية الجماعية هي السائدة لدى الوطنيين ولم تعرف الملكية الفردية إلا بعد قدوم المستوطنين.

¹ - المرجع نفسه.

² - علي ذهني، مرجع سابق، ص 74.

- تم توجيه الرأسمال الأوروبي إلى الاستثمار في القطاع الصناعي كالتنقيب عن المعادن لكنهم لم يحصلوا على خامات كبيرة كما استحدثت بعض الصناعات الخفيفة مثل صناعة الأثاث والأواني المزلية، طحن القمح والذرة وغيرها.
- وهكذا بدأت استثمارات وقوة بريطانيا تزيد من خلال تجارتها وتوسعها في كل من الهند ونيجيريا والعراق.
- وظهرت مصالح بريطانيا الاقتصادية في منطقة الخليج العربي مع تأسيس شركة الهند الشرقية في بداية القرن السابع عشر الميلادي، الأمر الذي جعلها تبني العلاقات المتينة مع القوى المتنفذة في منطقة الخليج لتأمين الطرق التجارية هناك أولا وبناء مراكز تجارية لها ثانيا.
- حاولت الشركة المتاجرة مع مدينة البصرة لتجنب المنافسة التجارية الهولندية، حيث توصلت بريطانيا إلى عقد معاهدة مع السلطان العثماني (أحمد الثالث 1703م-1730م) سمح بموجبها بممارسة التجارة البريطانية المارة عبر البصرة والأرجاء الواقعة تحت السيطرة العثمانية كافة وحددت نسبة الرسوم الجمركية بـ3% على الواردات البريطانية وكان لهذه الشركة مقر دائم في البصرة منذ عام 1723م، ويشرف عليها مقيم تابع لوكيل الشركة في بندر عباس.
- أنشأت بريطانيا قنصلية في البصرة عام 1764م، وتلقى البريطانيون المساعدة من الولاة والمماليك كما أمر الوالي (سليمان باشا أبو ليلة 1736-1761م) عمالة على جوب احترام مقيم الشركة والاهتمام بحماية التجارة في البصرة فضلا عن تقديم الهدايا للمقيم البريطاني في تحسين العلاقات التجارية والسياسية معه، لأهميتها في تحقيق مردود مالي جيد للعراق آنذاك ومقابل ذلك حصل الوالي على المساعدات العسكرية أحيانا تؤمن له قوة في إسناد حكمه ومقاومة المناوئين له.
- توسع نفوذ بريطانيا في المنطقة من جديد في نهاية القرن الثامن عشر واستطاعت غرس نفوذها السياسي في جسم الدولة العثمانية للحصول على أكثر الامتيازات في العراق حتى أصبح نشاطهم التجاري حجر عثرة على نحو خطير أمام التطور الاقتصادي المحلي المحدود وتغير تعاملهم التجاري والسياسي في العراق على أكثر اعتدالا من غيرهم من الأوروبيين في المنطقة في علاقاتهم مع القوى المحلية والحكومية.
- يعتبر الاقتصاد البريطاني في دائرة القلق مما أثار فشل رئيسية الوزراء "تيريزا ماي" في التوصل إلى صيغة اتفاق كامل مع الاتحاد الأوروبي حول تفاصيل مغادرة بلادها للاتحاد أظهر مسح دولي انخفاض نشاط قطاع

الخدمات المهيمن على اقتصاد بريطانيا، حيث يشكل قطاع الخدمات ما يقرب من 80% من الناتج المحلي الإجمالي.¹

— قالت مؤسسة "أي إتش إس ماركت" للأبحاث في تقريرها أن الاقتصاد البريطاني على الأرجح بنسبة 0.45%، وأضاف التقرير أن حجم العمل الحديد زاد أيضا بوتيرة أبطأ بينما كان معدل توظيف الموظفين هو الأقل.²

— قال كريس ويليامسون الاقتصادي في "أي إتش إس ماركت" يأتي تباطؤ قطاع الخدمات بخيبة أمل بعد تحسن أداء كل من الصناعات التحويلية ولبناء والخدمات ويعتبر التقرير الأخير أنه على الرغم من ضعف توسع قطاع الخدمات وتشير بيانات المسح الأخيرة إلى أن الاقتصاد يسير على الطريق لتحقيق نمو قوي.

— في المقابل أظهر مسح أن نشاط قطاع الأعمال في منطقة اليورو تسارع مع معاناة الشركات لتلبية الطلب المزدهر في أحدث، مؤشر على أداء قوي لاقتصاد المنطقة في العالم الحالي، وتنبئ المؤشرات المستقبلية في المسح بأن قوة الدفع ستستمر، الدكتورة "روزكا فيني" تعتقد أن إدراك لندن والرياض لضرورة إحداث تطوير نوعي في العلاقات الاقتصادية بينهما يمثل لب الزيارة الحالية والاقتصادية تقول السعودية تعد أكبر شريك تجاري للمملكة المتحدة في الشرق الأوسط ولندن ولم تحف حتى قبل الزيارة رغبتها في أن تكون شريكا إستراتيجيا للرياض في تنفيذ رؤية جديدة.³

— توجد أكثر من 6000 شركة في بريطانيا تشارك في تصدير السلع إلى السعودية وفي عام 2015 بلغت صادرات بريطانيا للسعودية من السلع والخدمات نحو 7.34% مليار جنيه إسترليني كما أن بريطانيا هي ثاني أكبر مستثمر تراكمي في المملكة بعد الولايات المتحدة الأمريكية حيث يوجد نحو 300 مشروع مشترك تبلغ قيمتها نحو 12 مليار جنيه إسترليني.

— حذر اتحاد الصناعيين البريطانيين الثلاثاء من تباطؤ الاقتصاد البريطاني في السنوات المقبلة بسبب الأزمة السياسية التي تعيشها البلاد وتداعيات بريكست غداة بدء مفاوضات خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي.

— حسب التوقعات الأخيرة للاتحاد فإن الاقتصاد البريطاني سيسجل نموا بنسبة 1.6% في هذا العام، قبل أن تراجع هذه النسبة إلى 1.4% في 2018 وبلغت نسبة النمو الاقتصادي البريطاني 1.8% في 2016.

¹ صلاح العقاد، الاستعمار في الخليج الفارسي، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د.س.ن)، ص 34.

² مازن لوثر، مرجع سابق، ص 29.

³ صلاح العقاد، مرجع سابق، ص 36.

— أضاف اتحاد الصناعيين البريطانيين أكبر تجمع بريطاني لأرباب العمل الانتخابات البريطانية التي لم تنتج غالبية الواضحة في مجلس النواب إلى قائمة الأسباب المؤدية إلى هذا التباطؤ، قال الاتحاد في بيان أن الاقتصاد يواجه تقريراً رباحاً معاكسة بسبب أوضاع سياسية غير مستقرة كما ومفاوضات بريكست ما يتطلب من الحكومة وقطاع الأعمال قيادة حذرة وجاءت التوقعات الأخيرة للنمو أفضل من الأرقام السابقة وكانت التوقعات السابقة تشير إلى نمو بنسبة 1.3% في 2017 بنسبة 1.1% للعام 2018.

— قالت "فيربرن الاثنين" "لدينا فرصة لإعادة بناء الاقتصاد البريطاني إلى موقعه المحوري... واثم أضافت... "نرى أنه لم يكن هناك تركيز كاف على الاقتصاد في الأشهر الأخيرة".¹

— يعتبر بريطانيا للعراق في أثناء الحرب العالمية الأولى وليد سياسة آنية أوحى بها إشراك الدول العثمانية بالحرب، وإنما استجابة لمطامع بريطانيا القديمة بأرض العراق لأمية موقعه الجغرافي ذي الصلة الوثيقة بين ما يجري في شبه القارة الهندية ومسارها في الخليج العربي فضلاً عن وجود النفط الباعث الأساسي للآخر ولا تجاه بريطانيا نحو العراق ولضمان نجاح سياستها على أساس الأسواق الجديدة والمواد الخام فيه.

— وما إن فكت أن تصطدم سياستها بوابل مقاومة القبائل العربية الخليجية المعارضة لها، حتى أقامت مركزاً تجارياً لها في البصرة عززت ذلك بنشاط علاقاتها بالدولة العثمانية من خلال بعثة (جسني) لمعرفة صلاحية النقل في نهري دجلة والفرات ومسحهما لأغراض الملاحة ظاهراً ولأغراض سياسية عسكرية باطنية، من خلال بسط نفوذها على العراف تمهيداً لما يتيسر لها عملية في المستقبل، وساعدتها على ذلك الإرساليات البريطانية الطبية والتبشيرية وفتح دوائر البريد البريطانية في بغداد والبصرة.

— إن السمة الغالبة على الأفكار والخطط والمشاريع للاحتلال البريطاني في العراق أياً كانت الجهة التي صدرت عنها الرسمية فيها أو قرارات القادة العسكريين هي تحقيق المصلحة البريطانية قبل كل شيء، فعملت على إصدار القوانين التي تتطلبها الأوضاع المحلية التي تبنتها اللجان العسكرية البريطانية ويجاريها حكم بعض شيوخ القبائل في حكمهم على العرف العشائري.²

— رسمت بريطانيا سياستها المستقلة فيما تراه ممكناً على نظام سياسي هيكلي للدولة ككل في أنظمة جزئية ذات وظائف متخصصة كالسلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية متبعة بذلك تحقيق مآربها الاستعمارية

¹— أولبرايت هاري، تقرير بعنوان: اقتصاديات عالمية، (مركز البناء، 2017)، ص 38.

²— فلاح محمود خضر البياتي، الاحتلال البريطاني للعراق في منطقة الفرات الأوسط (1917-1920)، مجلة كلية التربية الأساسية، ع 6، (2012)، ص 16.

بصورة مماثلة لمحيطها الدولي، اختلفت فيه عن الوقائع الفعلية التي أغاضت العراقيين بتلمسهم أن بريطانيا أنكرت وعودها وقراراتها لحماية أمن العراق والالتزام بصون الكرامة واحترام العراقيين وعملت على إساءة معاملتهم في وطنهم وعظمت المكانة الاجتماعية لعشائر العراق محاولة منها لفصلها عن الكيان المدن.

— جاءت سياسة الاحتلال البريطاني للعراق في منطقة الفرات الأوسط (1917-1920) إذ يضم ألوية العراق الوسطى (الحلة ويتبعها قضاء الهندبة وناحيتا الكفل وطويريج، كربلاء تتبعها قضاء النجف وناحيتا الكوفة وهورا الدخن، الديوانية وتتبعها قضاء السماوة وناحية الدميثة وقضاء الشامية وناحية الشنافة) لأهميته التاريخية المعاصرة والتي تناولها عدد من الكتاب لمعرفة المعلومات المتعلقة بالفرات الأوسط.¹

— تبرز أهمية موقع العراق في نظر السياسة البريطانية مع ازدياد أهمية منطقة الخليج العربي دولياً وتساعد الصراعات السياسية والاقتصادية العالمية فيها ولاسيما أن بريطانيا توسعت تجارتها في منتصف القرن التاسع عشر، وأصبح بوسع المقيم البريطاني في العراق أن يحقق مساعي دولته وطموحاته بكلمة منه إلى الحكام العثمانيين في إسطنبول، والتي لم يفتأ بعض زعماء العشائر العراقية أن يطلب الحماية أو العون من المقيم في التأثير بالولاة العثمانيين أحياناً.

— وافق العثمانيون للبريطانيين على تسيير باهرتين نقليتين في نهر الفرات عام 1842م في عهد الوالي (علي رضا اللاذ 1831-1842م) بصدور فرمان سلطاني نص على أن يوفر المشروع إفادته الواقعة مادامت المنافع مشاهدة ومحقة للجانبين وما لم يستلزم ذلك مخدوراً، قد صدرت من الرخصة لهم بتسيير باحرتين مناوبة في النهر المذكور، ووافق العثمانيون للبريطانيين إجراء مسح للمواصلات النهرية في دجلة والفرات التي حققت رحلات طويلة في الكشف والتدقيق في صلاحيته النهرية وإنشاء خطوط التلغراف وتأسيس الشركات الملاحية فضلاً عن إجراء المسح الجغرافي ورسم الخرائط التي هيأت أوضح الطرق وأدق المساحات باستغلال الأوضاع المناوئة للولاة العثمانيين.²

— قامت بريطانيا بوسم طريقاً برياً يمتد بامتداد نهر دجلة والفرات، وسيرت باحرتين فيهما معرفة صلاحية النهرين للملاحة، بعد أن تخلت عن مشروع (بالموستون) في مد خط حديدي عبر وادي الرافدين عام 1857م وقد شجع ذلك الألمان في وضع خطة لإقامة سكة حديد ترمي الوصول بها إلى بغداد والخليج العربي ثم إيجاد قاعدة بحرية على الخليج، فضلاً عن تغلغلها في الدولة العثمانية باعتقادها أن العراق رأس جسر سهل

¹ هنري فوستر، نشأة للعراق الحديث، تر: سليم طه التكريتي، (بغداد: دار الفجر للنشر والتوزيع، 1989)، ص 58.

² المرجع نفسه، ص 59.

النال لاقتحام الهند، لذلك أصبحت سياسة الألمان تشكل خطراً على المصالح البريطانية في الهند، الأمر الذي حفز بريطانيا على سرعة الاندفاع العسكري نحو الشرق الأوسط والعمل على توطيد العلاقات الجيدة مع دول الخليج العربي وعقد المعاهدات، وقد وجدت هذه الدول فيها صيانة لمركزها ضد السلطان العثماني والشاه الإيراني على حد سواء، فضلاً عن بعض بريطانيا إلى العراق دوائر مخابراتها العسكرية والسياسية عملاء بصفة سائحين ومبشرين وأثاريين لتحصل على معلومات أدق عن العراق من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

— حصل البريطانيون النفوذ التام في العراق وأهأهم الولاة العثمانيون، وأصبحوا ذا سطوة عالية في الأكثر أداروا وكالات وقنصليات الدول الأخرى في العراق، ولهم ثلاث قنصليات واحدة في البصرة وأخرى في بغداد وثالثة في الموصل يديرها وكيل سياسي ثم مقيم وكانت وظيفتها القنصل والمنقب الأثري تتحدان في شخص واحد وكانت تحت تصرف القنصل باخرة تلازمه في أعماله على الدوام.¹

— يتمتع الوكلاء البريطانيون بحرية التنقل في العراق وحصلوا على امتيازات كثيرة في الملاحة النهرية ودوائر البريد الهندية ومزلتهم نافذة ومحترمة في الأوساط السياسية والاجتماعية العراقية، استفاد منهم بعض شيوخ العشائر والتجار وبذلك صلت بريطانيا على القسط الأوفر في التجارة بين الشعوب الأوروبية في العراق.

— اتضحت دوافعهم السياسية في العراق بعد أن تستروا بإقامة المشاريع الاقتصادية وطرح شعارات المصلحة العامة ومنفعة العراق بإطلاق عناوين التمجيد للعراقيين وخدمة الإنسانية بدعاية يعيدون إلى أذهان العراقيين ماضي بلادهم المجيد وتراث إمبراطورية العرب والمسلمين فيها وتبرير ما قد تقتضيه المشاريع التي سيحققونها من نفقات خزينة الدولة لإتمام ضبط فيضان نهري دجلة والفرات وإنشاء السدود لمصالح الزراعة، وتنفيذ المشاريع العمرانية والصناعية، التي من شأنها تنمية الرعية البريطانية في وضع قدمها في العراق وأقامت صداقات حميمة وكثيرة مع العراقيين.

— سعت بريطانيا بواسطة شركاتها (لنج والشركة العثمانية للملاحة النهرية) التدخل بدبلوماسية عالية في أوساط الحكومة العثمانية للحصول على امتيازات اقتصادية كبيرة في ولاياتها ولاسيما في العراق منافسين في ذلك الدبلوماسية الألمانية الناجحة في العلاقات الاقتصادية والتجارية مع العثمانيين.

¹ - علاء موسى كاظم، "الدبلوماسية البريطانية في العراق"، مجلة أفاق عربية، ع12، (1980)، ص 107.

— بفضل حنكة وذكاء البريطاني "كلوديوس ريج" دخل العراق حظيرة النفوذ البريطاني وتمكن من السيطرة على الجهاز الحكومي وأن يكون مهيمنا وإذا الصدارة في بغداد، وقد سارت العلاقات البريطانية العراقية من بعده بالشكل الذي حقق المصالح البريطانية في العراق وكادت الشركات البريطانية أن تحصل على استغلال المناطق النفطية في الدولة العثمانية.¹

— كانت خطة بريطانيا في العراق الاحتلال للولاية البصرة فقط، ولكن نجاح قواتها في احتلال البصرة جعلها تغير خططها والتقدم لاحتلال بغداد وفقا لاعتبارات سياسية وجدت فيها تهدئة الحالة في إيران وإبعاد العثمانيين عن التجمع العسكري في العراق لذي سيؤثر مستقبلا على المحتلين البريطانيين، فضلا عن تقوية مركز بريطانيا في الهند من خلال صعوبة اتصال العثمانيين بأفغانستان وتحريض قبائلها الحدودية مع الهند مع الثورة ضدها.

— أصدرت السلطة العسكرية البريطانية في عام 1915م في المناطق العراقية المحتلة قانونا باسم قانون الأراضي العراقية ويتضمن أسس القوانين الهندية المدنية والجزائية ويحول للسلطة تطبيق القانون الهندي على المجتمع العراقي، وأجاز له تعديله حسبما تتطلب الأوضاع المحلية وحدد القانون إحالة القضايا الخطيرة إلى اللجان العسكرية البريطانية لبت فيها في حين تحال القضايا الشخصية إلى المحاكم الشرعية التي تطبق الشرعية المقدسة، والتي يراها الأهالي بأنها أفضل حل لمشكلاتهم الاقتصادية والاجتماعية وستعيد السلطة البريطانية لهم حقهم فيما سلب لهم إبان العهد العثماني.²

— استخدمت سلطة الاحتلال البريطاني الشائعات والكذب سلاحا راجحا بين سكان المدن والعشائر من خلال حواشيسهم بفكرة أن الأتراك منهزمون وأن الغلبة للإنكليز، وسرت تلك الشائعات والأساطير بأن قوة الإنكليز وعلوهم العجبية وأسلحتهم وثروتهم التي لا تحصى ستعزم الأتراك وتسحقهم وتحرر العراق منهم معززين شائعاتهم بآيات من القرآن بأنها وردت في سورة الروم، فوجدت تلك الشائعات رواجا وتقبلا من العراقيين خاصة وإن علاقات الصدام والكراهية كانت قائمة بين العثمانيين والعراقيين مقارنة بالوعود والتحرير والتقدم والرخاء التي رافقت كل خطوة من خطوات تقدم جيش الاحتلال البريطاني، وعلى الرغم من ميل العراقيين إلى العثمانيين بحكم العاطفة الدينية لدى أكثر الشعب العراقي الذي تأثر بخطابات السياسات ورجال الدين البارزين، إلا أن حرارة المقاومة انخفضت درجتها عندما أقدمت سلطات الاحتلال العثماني قسوتها على مدينة الحلة بما يعرف ب(واقعة عاكف الأولى والثانية) عامي 1915 و1916م راح ضحيتها أعداد كبيرة من

¹ - المرجع نفسه، ص 108.

² - فلاح محمود خضر البياتي، مرجع سابق، ص 18.

المواطنين ثم أصبحت الحالة في منطقة الفرات الأوسط خطيرة ووقعت حوادث ضد السلطة قادها عامة السكان في مدن (كربلاء، الحلة، طويريج والكوفة) ونتج عنها إجبار موظفوا الحكومة والحاميات العثمانية على ترك تلك المدن، الأمر الذي عجل السلطات الحكومية العثمانية على تغيير سياساتها إلى المسالمة والصلح والذي لم يحقق نفعا لهم حيث تغير الاتجاه الفكري الشعبي في المقاومة والتوقف عن مساندة العثمانيين في الفرات الأوسط، حتى دخول البريطانيين لبغداد في آذار 1917م وفي المقابل تركت السلطات البريطانية منطقة الفرات الأوسط وشأنها في الإدارة المحلية خلال عام 1917م، ومتبعة سياسة التهيب والترغيب التي حققت لها نجاحا أكبر مما حققته في مناطق أخرى فقد عينت في مدينة الحلة مجلس قبلي لحل المشاكل العشائرية وحشد الفلاحين للعمل في مختلف المشاريع ضد عددا من الشيوخ البارزين فيها، وخصصت لهم الإدارة البريطانية مكافآت مجزية بلغت ثلاثمائة روبية شهريا، ومنهم عينوا أعضاء المجالس العشائرية حيث أرادت بذلك تحقيق أهدافها في منطقة الفرات الأوسط.¹

— في مدينة الكوت ارتأى قائد الحملة العسكرية البريطانية الجنرال "طونزند townshend" عام 1915م لتأمين سلامة جيشه وإخراج أهالي الكوت من مدينتهم ممن لا يملكون منازل فيها (الغرباء) واستثنى منهم ما يوصي بهم حاكم الكوت العسكري إبقائهم فيها، كما احتجز عشرين شخصا من وجهائها (رهائن لضمان هدوء سكان المدينة وأمر قواته على مصادرة مواد الإعاشة المتيسرة في المدينة، وتفتيش المنازل بحثا عن الحبوب والمواد الغذائية، إذ أعلن عن إعطاء المكافآت لمن يدي بمخابئها فضلا عن فرض أعمال السخرة على سكانها في حفر الفنادق وإنشاء الطرق).

— كما ألغت السلطة البريطانية القوانين المدنية في معظم مدن العراق التي احتلوها باستثناء ما يتناسب وسياساتهم الاستعمارية وعينت على إدارتهم في العراق حكومة عسكرية، تجسد موقف العراقيين الراضين للاحتلال البريطاني ونظامها الجديد في محاولة تطبيق أسس سياسية في الهند إلى مواقف ثورية وشديدة تنم عن أن الناس عدوا من يعمل مع البريطانيين كفاروا وماردا يلعنوهم في الشوارع والمقاهي وكثيرا ما يتحول موقفهم إلى مجابهة مسلحة منتظمة، ففي مدينة النجف قادت (جمعية النهضة الإسلامية) السرية الثورة الشعبية ضد الاحتلال والتي كانت لها وقعا كبيرا على العشائر في تمهيات وتنظيم القتال في المنطقة.

¹ - فاروق صالح العمر، سياسة بريطانيا في العراق: 1914-1921، (بغداد: الإرشاد للنشر والتوزيع، 1977)، ص

— ترك الاحتلال البريطاني بصماته على المجتمع العراقي من الأوجه جميعاً القائمة على تعزيز¹ ربطه بأسواقه الخاصة والأسواق الرأسمالية عامة من خلال الاعتماد المباشر في أقل عدد ممكن من رؤساء ومنتقدي العشائر العراقية وأقاموا علاقات معهم منذ الاحتلال في تركيز القوة الاقتصادية (الأرض) والسلطة الإدارية بأيدي الشيوخ والذي توضح في تقرير الحاكم السياسي البريطاني في العمارة قوله: "لقد ساعدنا أيام الحرب إبقاءنا على شيخ واحد في مقاطعات كبيرة، فكانت وسيلة مؤثرة على المجتمع في طاعتهم لرئيسهم الذي وجدوا فيه ضمان حل مشاكلهم والتقرب به من سلطة الاحتلال عند المراجحات الرسمية".

قامت السياسة البريطانية على ستر سياستها في إشغال مسؤوليها العاملين في العراق ممن يفتقرون إلى الخبرة الإدارية والحكمة السياسية والجهل بطبيعة المجتمع العراقي، في أن العراقيين غير قادرين على الإدارة بنفسهم وصار الموظفون الجدد صارمين في تطبيق الأنظمة والقوانين لا يراعون فيها أحداً، وكثيراً ما كانوا يعاملون الناس بالعجرفة والفظاظة وعدم الاحترام على النحو الذي اعتادوا عليه في الهند بغض النظر عن الفرق بين شخصية ونفسية العراقي والهندي.

سار الحكام البريطانيون على أسلوب هدر كرامات الناس من خلال الضرب والإهانة والزجر وعلى طريقة ما نقلته قصص في خروج الملوك ومارس الحكام البريطانيون أسلوب الإهانة والشتم للشيوخ عند حضورهم في مكاتبهم، تناقلتها الألسن والمذكرات عندما يغتاظ الشيوخ من اقتراب الكلاب البريطانية منهم لاعتقادهم بأنها في العرف الاجتماعي والديني والتي تثير ذلك غضب الحاكم ويجعله يسرع في الإهانة والزجر على سلوكهم هذا أو الاختلاف معهم بأمور أخرى.²

ركزت السلطة البريطانية منشور رقم 70 نشر نصه في جريدة العراق حول تحديد سياستها النهائية في العراق من أهما ستجعل فيه حكومة مستقلة تضمن استقلالها جمعية عصبة الأمم، وإلزامها بتشكيل قانون أساس واستشارتها في العراق في مسألة تشكيله مع ملاحظة حقوق الأجناس المختلفة الموجودة في بلاد العراق ورغبتها ومنافعها، فهي وثيقة رسمية واضحة رغت بريطانيا في سياستها الاستعمارية التي ستربط العراق بالقرارات الدولية المهيمنة عليها، وبهذا الشأن لقت معارضة شديدة من المواطنين العراقيين، فضلاً عن تطور الموقف الحربي في الفرات الأوسط وظهور الحركات المسلحة ضد القوات البريطانية.

¹ محمد حسين الزبيدي، العراقيون المنفيون إلى جزيرة هنجام، ط2، (بغداد: دار الحرية للنشر والتوزيع، 1989)، ص 48.

² محمد حسن الزبيدي، مرجع سابق، ص 50.

مارست بريطانيا سياسة الاستبداد في العراق القائمة على اضطهاد سكانه ومعاملتهم بقسوة في ثورة العشرين ومضت على هذا الأسلوب في محاولة منها لكسب بعض رؤساء العشائر وجعلهم موالين لها خدمة في تحقيق أهدافها ومصالحها فانطوى بعضهم للخدمة المدنية عند الضباط السياسيين البريطانيين فحققت بذلك سلطة داخلية محكمة لها نفوذ كبير على المواطنين منفذة أوامرهم وخولتهم على قمع المعارضين والسيطرة الأمنية في مناطقهم، فالشيخ عمران السعدون قائم مقام الهندية رافق معاون الحاكم السياسي البريطاني في مدينة (طويريج) الكابتن (جاردين) في 19 تموز 1920م وسأيره في المتوسط إلى مخيم الكوفة لإجراء الترتيبات لوقف القتال والتي انقطعت تلك المفاوضات مع الثوار حيث أثرت سلبيًا في العلاقات العشائرية في المنطقة وعلم عند العشائر أن ولاء الشيخ (عمران) غير أكيد وحذر منه فضلًا عن معارضته¹ للعشائر التي حررت مدينة الكفل التابعة إداريًا لقضاء الهندية في 20 تموز في كبح نشاط الثوار وهددهم بالتعاون مع البريطانيين في مقاومتهم وعلى العكس من ذلك عمل الميجر (ديلي Deely) إلى (الحاج مخيف) مكيدة عند حضوره لمقره في الديوانية وأمر باعتقاله وسوقه إلى البصرة ثم نفيه إلى جزيرة هنجام مع المنفيين هناك.

استخدم المحتلون أسلوب حجز الأشخاص (رهائن) حيث عملت القوات البريطانية في الديوانية على وضع خطة عسكرية للانسحاب منها إلى الحلة فأطلق الميجر (ديلي) سراح الشيخ (شعلان العطية) رئيس عشائر الأكرع بعد أن حجز شقيقه الشيخ (جبل العطية) وابنه (موجد الشعلان) كرهائن للبر بالوعد الذي قطعه بعدم مقاتلة الجيش المنسحب في حدود قبيلته.

نكثت السلطات البريطانية وعدّها بقيادة الميجر "نوربري Noorbery" ولم تفي بمواثيقها عندما وقعت اتفاقية هدنة مع الثوار في الكوفة في تموز 1920م، باتفاق الإفراج عن المنفيين والمعتقلين العراقيين ووقف القتال في الرميثة وإجلاء الحكام البريطانيين في مناطق الفرات الأوسط وإجراء الاستفتاء والمفاوضات مع البريطانيين على أساس منح العراق الاستقلال والحرية مقابل تعهد رؤساء القبائل في فك الحصار عن الحامية البريطانية في أبي صخير الذي تم تنفيذه من لدن العراقيين، وافتهم القوة البريطانية في مقاتلتهم بعد أن حصلت على مرادها بنقض الاتفاق.

مارست السلطة الحلة أساليب أخرى منها التجويع والحرمان من خلال قيامهم بإتلاف المزارع والبساتين وقطع المياه عن مدينة كربلاء لإيقاع الأذى في سكانها ومزارعها التي قال فيه الجنرال "هالدين" لما كانت

¹ عبد الجبار حسن الجبوري، الأحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي، (بغداد: دار الحرية للنشر والتوزيع، 1977)، ص 55.

كربلاء مسؤولة إلى حد غير قليل عن قيام الثورة فإني رغبت في الاستيلاء على ناظم الحسينية الذي كان يبعد عن الفرات بمائتي ياردة لكي يجعل سكان كربلاء قاتلا للضغط المعنوي الذي نتج عن إظهار مقدرتي على حرمانهم معين الحياة كان بلا شك عظيما.

سارت سياسات بريطانيا على حريق البيوت ممن اشتركوا في الثورة في شمال العراق في منطقة دلتاوة ودور الرؤساء الزبياريين والبرزانيين ومصادرة أموالهم واتلفت مزارع وحقول قرى قضاء الهندية وحرقت مضيبي الشيخ (شهران) رئيس عشيرة آل فتلة والشيخ (جواد المحمد) رئيس البراجع وقامت بمصادرة وقتل أعداد كبيرة من رؤوس الأغنام والأبقار والخيول في المنطقة، ولم تعر اهتماما للقوانين الدولية وحقوق الإنسان فأقدمت على إعدام من أسرته من الثوار دون تحقيق أو محاكمة.¹

استلمت قيادة الاحتلال سبعين ألف بندقية عشائر الفرات الأوسط بعد العشرين في حين لم يجمع من عشائر المنتفك أي قطعة سلاح لأسباب استثنائية، حيث كان المحتلون يتغنون من ذلك تحقيق أمرين، لأول بقاء هذه العشائر على ولائها وإخلاصهم والثاني تكيد لهم كقوة يمكن أن تستغلها في ضرب العشائر الأخرى المعارضة لسياستها في مناطقهم.

ثورة العشرين جعلت الشك يحل محل اليقين والذي غير فكرة السياسة في تحويل العراق إلى هند ثانية وإقامة حكم بريطاني مباشر، فضلا عن تزويد الحكومة البريطانية مندوبها الجديد للعراق (بيرس كوكس) الأكثر هدوء ودبلوماسية من سابقه في سياسته مع العراقيين تعليماها السياسية في رسم مستقبل العلاقة بينهم والعراق بموجب معاهدة جديدة لا بصك الانتداب القديم، والعمل على تأليف حكومة عراقية مؤقتة تعتمد على العراقيين في استغلال مناصبها الوزارية، الذي سعى بصعوبة على اختيار شاغليها ممن يعرفون بالمعتدلين على حد تعبيره لهم الإلمام بالأمور الإدارية والحكومية حيث لم يتورع من أجل الحصول عليهم إلا بنشر الإعلانات الرسمية التي حددت فيها العراقيين مما سبق انتخابهم لمجلس الأعيان ومجلس المبعوثان العثماني.²

منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي تركزت سياسة الاستعمار البريطاني في الهند على العراق من خلال الصلة الوثيقة بين ما يجري في شبه القارة الهندية ومسارها عبر الخليج العربي والتي تنتج عنها إجبار العراق على تحقيق أهداف الاستعمار البريطاني بعد ضمه إلى المنتصرين في الحرب العالمية الأولى، في

¹ عبد الجبار حسن الجبوري، مرجع سابق، ص 56.

² محمد أمير الخيضر، "سياسة الاحتلال البريطاني في العراق"، في: <http://aawisat.com/home/article/11044917>، (2018/01/13).

ميدان شاسع من السياسة العامة والإدارة معتقدة أنها ستضمن نجاح سياساتها على أساس وجود الأسواق الجديدة والمواد الخام فيه، كما عملت سلطة الاحتلال على إصدار قوانين تطلبتها الأوضاع المحلية والإدارية بعيدة عن واقع العراق السياسي والاجتماعي، تبنتها لجأها العسكرية بمعاونة شيوخ القبائل المؤدين للاحتلال ببقائهم في حكمهم حسب العرف العشائري.

توسع الموقف الذي تبناه البريطانيون اتجاه استغلال العراق السياسي من شقة الخلاف بينهم وبين العراقيين، وفشلت خططهم في حكم العراق حكما مباشرا وربطه بحكومة الهند.

كان لافتقار العاملين السياسيين البريطانيين في العراق الخبرة الإدارية والحكمة السياسية وجهلهم بطبيعة المجتمع العراقي.

فشلت الثورة العراقية عسكريا لكنها أسهمت كثيرا في تطور الوعي السياسي والثوري بين السكان وأظهرت دلائل نضوج سياسية في الفرات الأوسط لاسيما عند بعض كبار الشيوخ في رفض جميع أنواع السلطة المفروضة من خارج العشيرة والرغبة في تجنب الضرائب فضلا عن مطالبهم السياسية في تحقيق الاستقلال وتقرير المصير وإقامة حكم وطني في العراق بديلا عن الحكم البريطاني المباشر.¹

¹ - المرجع نفسه.

المبحث الثاني: العلاقات البريطانية مع قوى الشرق الأوسطية

تبرز العلاقات البريطانية في الشرق الأوسط من خلال ظهور عدة قوى سواء في المجال العربي مثل الخليج العربي مصر، العراق، أو في المجال غير العربي كإيران، تركيا والعراق وهذا ما سنتطرق إليه.

المطلب الأول: المجال العربي

تتعدد العلاقات البريطانية في الشرق الأوسط وتختلف حسب المصالح والأهداف فمثلا الخليج العربي ومصر والعراق.

أولا: مصر

توجد أربع حركات اجتماعية وسياسية كبرى أحدثت تغييرا سياسيا سريعا في تاريخ مصر، وتشمل ثورة عرابي (1881-1882) والثورة المصرية عام 1919، وحريق القاهرة وانقلاب الضباط الشباب عام 1952 وانتفاضة (2011-2012) ويقال إن هذه الأحداث جميعا قد اشتملت على تغير سياسي سريع ومنتظم تسبب في حراك اجتماعي، والحركات الاجتماعية بدورها تنطوي على حملات منظمة لبلوغ أهدافها عن طريق التظاهرات، والمسيرات الليلية والإضرابات¹ والتجمعات الخطابية وتوزيع المنشورات للتأثير، حيث كانت الثورة المصرية عام 2011 رابع حركة جماهيرية في سبيل التغير السياسي والاجتماعي في تاريخ البلاد منذ أواخر القرن التاسع عشر، كانت كل واحدة من هذه الحركات الثورية تتميز بمجدول أعمال سياسي وبعد اجتماعي ولهذا الحركات السياسية والاجتماعية أثر قوي وواضح في الشعب المصري.²

كانت أول حركة سياسية على نطاق واسع في تاريخ مصر الحديث هي ثورة عرابي (1881-1882) محاولة لإقامة حكومة برلمانية يقودها جزئيا ضباط الجيش، وفي هذا الوقت لم تكن مصر دولة وطنية بل دولة تابعة للسلطنة العثمانية، لكن الحركة الجماهيرية الثانية (1919-1922) ضد الحكم البريطاني وضد القيود الاقتصادية في سنوات الحرب تتحرك مصر نحو الملكية الدستورية، ولو أنها لم تستطع التخلص من التأثير البريطاني القوي.

¹ - فواز جرجس، الشرق الأوسط الجديد - الاحتجاج والثورة والفوضى في الوطن العربي، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2016)، ص 69.

² - جيريمي باكسمان، "بريطانيا في ظلال إمبراطورية غربة عنها الشمس"، مجلة أفاق المستقبل، ع 14، (2012)، ص 82.

في فترة الاحتلال البريطاني (1882-1922) كما في عصر التحرر كانت مصر تعاني بشدة سطوع الإقطاع والاقْتِصَار على زراعة القطن، حيث عرفت مصر انتعاشا وصعودا، عندما تسببت الحرب الأهلية الأمريكية في انتعاش تجارة القطن في عقد 1860، فتم إعلان أن مصر قد انسحبت من إفريقيا والتحقت بأوروبا.¹

وفي عام 1866 جمع مجلس نواب منتخب أساسا من رؤساء قرويين وإداريين بقصد تأليف جمعية للمداوات وواجهة لحداثة حكومية ثم اقترضت الحكومة مبالغ كبيرة من الأموال من المصارف الأوروبية على أمل ارتفاع مداخيل القطن باستمرار، ثم اكتشفت تزايد استحالة الوفاء بخدمات الديون أو تسديد أصحاب الديون.

قامت الحكومة ببيع قناة السويس حديثة البناء إلى بريطانيا بثمن بخس، فنشر البريطانيون قواهم هناك لعقود، حيث أصرت القوات الأوروبية على إشراك ممثلين عن فرنسا وبريطانيا في الوزارة لإحباط أي سوء تصرف بالأموال.²

تأميم قناة السويس: كان قرار جمال هو تأميم شركة قناة السويس في حبة الامتيازات التي كانت تمثل الرمز المتميز للوجود الأجنبي في مصر ولأن بريطانيا بررت دائما وجودها بضرورة الدفاع عن الممر المائي الدولي.

جاء تأميم قناة السويس إثر انسحاب بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية والبنك الدولي من مشروع السد العالي وكان التأميم فرصة للإجابة على التحدي الغربي إذ أن مصر تستطيع بفضل عائدات القناة أن تمويل بناء السد العالي، ففي خطاب ألقاه جمال عبد الناصر في الإسكندرية في 26 يوليو 1956 أعلن للجماهير العربية أن قناة السويس عادت إلى أصحابها الشرعيين، ورجع ذلك إلى السياسة المنتهجة من طرف مصر نحو تيار سياسة الحياد الإيجابي، وعدم الانحياز وكذلك عدم الانضمام إلى الأحلاف العسكرية.

كانت المصالح البريطانية أكثر تأثرا من جراء أي خطر يهدد القناة إذ كانت بريطانيا أكثر الدول استخداما للقناة فعلى سبيل المثال مثلت بريطانيا ثلث عدد السفن التي عبرت القناة عام 1955.

¹ - فواز جرجس، مرجع سابق، ص 71.

² - أحمد فاروق، "الشرق الأوسط الجديد" - ماذا سيحدث؟، في: <http://IbVnewn.com/ar/news/20352>، (2017/01/23).

يعتبر العدوان الثلاثي على مصر تجسيدا عمليا للالتحام الاستعمار مع الصهيونية فديلا على رغبة هاتين القوتين في التهام ما تبقى من أرض فلسطين وإصرار على ضرب مصر وإخضاعها باعتبارها مركز التحرر العربي في المنطقة، وقد جاء هذا العدوان إثر قيام جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس وذلك باتفاق الدول الاستعمارية (بريطانيا، فرنسا، إسرائيل) عام 1956.

أهداف العدوان الثلاثي تتلخص فيما يلي:

- القضاء على حركة الانبعاث القومي بشكل عام، وعلى الثورة الناصرية بشكل خاص.
 - منع تسرب النفوذ السوفياتي إلى هذه المنطقة.
 - تقوية ودعم إسرائيل بكل الوسائل لتكون حارسا أمنيا لمصالح الغرب في المنطقة.¹
 - إعادة امتياز شركة القناة التي أصحابها الإنجليز والفرنسيين.
- ومن نتائج العدوان الثلاثي في مصر هو:
- تسرب النفوذ السوفياتي إلى الشرق الأوسط فقد أصبح الكثير من العرب يرون فيه بعد موقفه المشرف من العدوان الثلاثي.

- تقهقر ما تبقى من نفوذ فرنسي وإنجليزي في المنطقة وتجلي ذلك في الثورة العراقية على حليف الإنجليز.
- انسحاب القوات الفرنسية الإنجليزية من بور سعيد 1956 وإلغاء معاهدة التحالف مع بريطانيا وبذلك أصبحت مصر مستقلة استقلالاً تاماً.
- احتفاظ مصر بقناة السويس تحت يدها.
- تعتبر قناة السويس هي المناسبة التي استطاع فيها الاتحاد السوفياتي أن يحقق ويعلم تعادله مع الولايات المتحدة الأمريكية في حيازتها على أسلحة الدمار الشامل.²

ثانياً: العراق

اكتسب العراق أهمية كبرى في السياسة البريطانية منذ بداية النشاط البريطاني في الخليج العربي في الربع الأول من القرن السابع عشر، وقد تنوعت المصالح البريطانية في العراق فهناك المصالح الاقتصادية التي تركزت على شراء المواد الأولية الرخيصة من جلود وصوف وعرق سوس وحيول وعملت بريطانيا على ربط الاقتصاد العراقي بالرأسمال الأجنبي عن طريق تأسيس عدد من الشركات البريطانية أمثال شركة لنج ومكتري، ولم

¹ - محمد درعي، التاريخ المعاصر، الحرب العالمية الثانية، (د ب ن، دار مدني للنشر والتوزيع، 1995)، ص 138.

² - محمد درعي، مرجع سابق، ص 139.

تقتصر عملها على النشاط التجاري فقط بل كان وجودها يمثل تغلغلا استعماريا، أما أهمية العراق الإستراتيجية بالنسبة لبريطانيا فتمثل في موقع العراق على الخليج العربي الذي هو جزء من طريق الهند البري الحيوي لمواصلات الحكومة البريطانية وقد أكدت هذه الأهمية بعثة استطلاعية عام 1834 لدراسة إمكانيات نهر الفرات.

في مطلع القرن العشرين ازدادت الأهمية نتيجة لاكتشاف النفط وكانت حماية هذه الحقول هي إحدى الأسباب التي تدرعت بها بريطانيا عند احتلال البصرة، وبدأت بريطانيا تمهئ قواتها العسكرية للحفاظ على احتلالها للخليج العربي، وأرسلت قواتها إلى المنطقة في عام 1914، وفي اليوم أسندت قيادة القوات البريطانية إلى العميد ديلامين وحدد إطار عملها، وحماية مصافي النفط وفي يوم 6 تشرين الثاني من العام نفسه صدرت التعليمات إلى ديلامين بالتوجه إلى الفاو وفعلا ونزلت قواته فيها ورفع العمل البريطاني فيها بعد مقاومة طفيفة وفي 22 تشرين الثاني احتلت القرنة من قبل القوات البريطانية وكان لاحتلالها أهمية كبيرة لموقعها العسكري ولصلاحيه الملاحة.¹

احتشدت القوات العثمانية بقيادة سليمان عسكري ومعها قوات المتطوعين الذين عملوا العثمانيين على كسب تأييدهم عن طريق إعلان الجهاد المقدس، وبدأت بمناوشة البريطانيين في 12 نيسان 1915 في الشعبية وتعتبر هذه المعركة من المعارك الحاسمة في تاريخ عملية الاحتلال البريطاني للعراق وبعد هزيمة العثمانيين في القرنة والشعبية تفهقرت قواتهم نحو العمارة والناصرية واحتلت الأولى في 1915 كما احتلت الناصرية في 25 تموز، وشجع هذا الاحتلال البريطاني على التقدم نحو بغداد وفعلا² تقدمت حملتهم باتجاه بغداد بقيادة الجنرال "طاووزند" وحدثت أول معركة بين الطرفين في 1915.

قاومت القوات العثمانية الانكسار البريطاني في المدائن وتمكنت من محاصرة البريطانيين في 7 كانون الأول 1915، واستمر الحصار حوالي خمسة أشهر، لم يستثمر العثمانيون العزيمة البريطانية في الكوت وإنما أرسلوا قواتهم لاسيما بعد أن تولى الجنرال (مود) قيادة القوات البريطانية ودارت معارك بين الطرفين اضطر على إثرها العثمانيون إلى الانسحاب من الكوت إلى المدائن وتمكن مود بعدها من التقدم نحو بغداد فدخلها في 1917م.³

¹ - جلال كاظم محسن الكناني، تاريخ العراق المعاصر - المرحلة الرابعة، (د ب ن، د س ن)، ص 6.
² - زكي صالح، "الاحتلال البريطاني للعراق"، في: <http://azerdaily.com/analytics> (2017/09/23).
³ - المرجع نفسه.

واصل البريطانيون تقدمهم نحو شمال العراق فاحتلوا سامراء وفي الموصل جرب عقد هدنة في تشرين الثاني 1917 وفي الموصل حرت عقد هدنة وافق العثمانيون على مغادرة المدينة وانتهت الأعمال العسكرية التي استمرت زهاء أربع سنوات، فكلّف هذا الإحتلال البريطاني خسائر قدرت بحوالي مائة ألف قتيل وجريح فضلا عن الخسائر المادية.

دفعت حاجات الحملة البريطانية وضرورة ملء الفراغ الذي أحدثته انسحاب العثمانيين السلطة البريطانية المحتلة إلى تأسيس نوع من الإدارة قامت هذه الأخيرة على الأسس التالية:

- العمل على تأمين الحاجات التي يتطلبها الإحتلال البريطاني بالاستيلاء على بعض الأراضي والممتلكات.
- التخطيط لجعل الجزء الجنوبي من العراق مستعمرة هندية.
- محاولة التقرب من العشائر لضمان ولائها للسلطة المحتلة.
- العمل على إيجاد نظام إداري تتركز فيه السلطة بيد الحكام البريطانيين.¹
- العمل على وضع نظام قضائي ومالي.

وقد ظهر واضحا من تطبيق الإدارة البريطانية أن الهدف يقضي باحتلال البلاد نهائيا والعمل على إيجاد الصيغ لربطه بالهند وإعطائه نوعا من الحكم الذاتي.²

ثالثا: الخليج العربي

يعتبر مجلس التعاون الخليجي بالنسبة دول الخليج منظمة إقليمية عربية مكونة من ست دول أعضاء تطل على الخليج العربي وهي الإمارات والبحرين والسعودية وسلطنة عمان وقطر والكويت، كما يعد كل من العراق باعتباره دولة عربية مطلة على الخليج العربي واليمن الذي يمثل الامتداد الإستراتيجي لدول مجلس التعاون الخليجي دولا مرشحة للحصول على عضوية المجلس الكاملة، حيث يمتلك كل من العراق واليمن عضوية بعض لجان المجلس كالرياضية والصحية والثقافية.

تأسس المجلس في 25 مايو 1981 بالاجتماع المنعقد في أبو ظبي بالإمارات العربية المتحدة وكان كل من الشيخ ج أبز الأحمد الصباح والشيخ زايد بن سلطان آل نهيان من أصحاب فكرة إنشائه ويتخذ المجلس من الرياض مقر له.

¹ - هنري ج جاركبي، تركيا والعراق - أخطار وإمكانات الحوار، (معهد السلام الأمريكي، جويلية 2005)، ص 10.

² - المرجع نفسه، ص 11.

رغم وجود صعوبات تحديد انطلاق فكرة قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية تحديداً دقيقاً، فمنذ منتصف الستينات أخذ التعاون بين دول الخليج أكثر من شكل، كما اختلفت طبيعة التعاون اعتماداً على مصالح الدول المشتركة في اتفاقيات التعاون ومع بداية السبعينات تم عقد اتفاقيات اقتصادية ثنائية جماعية بين الدول الأعضاء مثل اتفاقية التعاون الاقتصادي بين الكويت والإمارات العربية المتحدة في يونيو 1973 واتفاقية التعاون الاقتصادي بين الكويت والمملكة العربية السعودية في مارس 1975 واتفاقية التعاون الاقتصادي بين البحرين والمملكة العربية السعودية في أبريل 1975.¹

تم إقامة عدد من المؤسسات والمنظمات هدفها تشجيع التعاون الجماعي بين مجموعة دول الخليج وقد كان السبب وراء إنشاء مجلس التعاون الخليجي سنة 1980 ثلاثة أسباب سياسية رئيسية على عكس ما يعتقد البعض على الحوافز الاقتصادية منها الثورة الإيرانية، والخطر الذي استشعرته دول المنطقة نية الابتزاز المستمر لنظام صدام حسين في العراق اتجاه دول الخليج وفي مقدمتها الكويت، والوجود العسكري السوفياتي في أفغانستان وما ترتب عليه من اتجاه لخلق حماية مشتركة مع الغرب والقراءة العميقة لهذه الأسباب تظهر في الخطر الإيراني كان هو الهاجس الأول ولم تكذب² تمضي ثلاثة أعوام على إنشاء مجلس التعاون حتى اتفق سنة 1984 على إنشاء قوات عسكرية تحت اسم درع الجزيرة، لكنها فضلت في أي دور منذ الغزو العراقي للكويت سنة 1990.³

يعتبر التزامن العرضي بين حرب الخليج في عامي 1990-1991 وانهيار الاتحاد السوفياتي وانتهاء الحرب الباردة بداية لعملية يمكن وصفها بأنها تحول في بني الحكم وفي نمط العلاقات بين دول الشرق الأوسط ومع العالم الخارجي، فكان غزو العراق لدولة عربية مستقلة وما ترتب على ذلك من انقسامات عميقة بين الأنظمة وفي داخل كل مجتمعات الشرق الأوسط بمثابة قاضية لما تبقى من إيمان عميق بوحدة كانت لا تتجاوز المصلحة الفردية لكل دولة، كما تمخض هذا الغزو عن كم هائل من انعدام الثقة تبنى على سبيل المثال في العزلة المؤقتة لأنظمة دول كالأردن واليمن والسودان والتي رفض قادتها ترتيبات الأمن الجماعي في إطار مجلس

¹ - سعاد يحيى، تقييم مسار التكامل لمنطقة الخليج العربي والآثار المترتبة عن إصدار عملة خليجية موحدة، مذكرة غير منشورة، (جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية العلوم الاقتصادية والتسيير، 2013)، ص 82.

² - حسن خليل، "مجلس التعاون الخليجي: خيبة وإخفاقات"، مقالات أخبار في: online@al-akhbar.com (2018/04/10).

³ - المرجع نفسه.

التعاون الخليجي إلى اتفاقيات دفاع ثنائية مع الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، كما فتح الطريق لتدخل أمريكي مباشر لدفع عملية السلام بين إسرائيل والفلسطينيين.

على الصعيد الداخلي شهد عقد ما بعد حرب الخليج تصاعدا في الضغوط الداخلية الدولية لتحرير البنى السياسية والاقتصادية في الشرق الأوسط وكانت بعض هذه العوامل تتصل بالمشاركة في الحرب ومن الأمثلة على ذلك تنشيط الإصلاح الاقتصادي المصري نتيجة للوعد بتخفيف أعباء المديونية للانضمام إلى التحالف الدولي ضد العراق، ومثال آخر حاجة أنظمة الخليج استجابة للانتقادات الشعبية.¹

يوصف السياق الأكبر بأنه حالة عولمة مكثفة اضطرت دول الشرق الأوسط وأنظمتها الحاكمة فيها إلى الاستجابة للقوى الدولية القوية ودفعها في اتجاه المزيد من الانفتاح وسرعة الاتصال والتنافس التجاري، هذه العوامل موجودة منذ السبعينات ولكنها بدأت تعمل بقوة خاصة بعد انتهاء الحرب الباردة تدعمها مؤسسات عالمية كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية بالإضافة إلى بعض السياسات الجريئة من جانب الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي ويعتبر من الأدوات المهمة للتشجيع على مزيد من الانفتاح المشروطة حيث تم ربط المساعدات والمعونات بعود بإجراء إصلاحات سياسية واقتصادية.²

ببروز عقد التسعينات دون حدوث تقدم حقيقي ملموس أثلج صدري أن أرى تغيرا في لغة التحول المسدود وقد بدأت تستبدل بها لغة تؤكد على مرونة أنظمة الشرق الأوسط الشمولية وعملية تعديل بدلا من تغيير أحادي الاتجاه ويتميز بقدرة على التكيف تسمح لها بإعادة هيكلة العديد من نظم حكمها وإدارتها السياسية دون تنازل فعلي عن السلطة والتحكم والنتيجة توجزها الكاتبة الروسية في حديثها عند بدء السوق الحرة والديمقراطية بجوانبها السطحية مع الاحتفاظ في الجوهر بعلاقة التبعية وحكم القلة والحكم.

وهذه العملية تبدأ في الجمهوريات العربية الكبيرة تليها ملكيتان هما الأردن والمغرب والكيانات الخليجية الخاضعة لحكم عائلات، ثم نطبق جانبا من التحليل نفسه على مجموعة من الدول شهدت تصاعدا في سلطة الأنظمة الحاكمة كالعراق وليبيا والسودان ولبنان.³

المطلب الثاني: المجال غير العربي

¹ روجر أوين، تر عبد الوهاب علوب، الدولة والسلطة والسياسة في الشرق الأوسط، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة للنشر والتوزيع، 2004)، ص 152.

² مروان قبلان، "العلاقات في المشرق العربي"، مجلة سياسات عربية، ع 16، (جانفي 2015)، ص 18.

³ المرجع نفسه، ص 20.

تختلف العلاقات البريطانية في الشرق الأوسط فهناك مجال عربي مثل مصر، الخليج العربي، العراق والمجال غير العربي إيران، تركيا، العراق.

أولاً: تركيا

قامت السياسة الخارجية التركية بعد تأسيس الجمهورية على أساس المحافظة على سلامة الكيان التركي الجديد المولود من رحم الدولة العثمانية وتجنب دوائر الصراع ثم تطورت في الحرب الباردة خاصة بعد أن أصبحت عضواً في حلف الناتو لتجعل من تركيا دولة مواجهة ضد الخطر السوفياتي وحلقة ضرورية في الإستراتيجية الغربية لاحتواء التوسع الشيوعي والوقوف أمام محاولات الاتحاد السوفياتي مد نفوذه جنوباً إلى أن أصبح بعد زوال هذا الخطر جسراً بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي أي جسراً بين أوروبا الموحدة نحو آسيا والشرق الأوسط، ونافذة شعوب الشرق الأوسط ونافذة شعوب الشرق ووسط آسيا على أوروبا.

بعد انهيار الاتحاد السوفياتي في مطلع تسعينات القرن الماضي بدأت تركيا الدولة الإسلامية الوحيدة العضو في حلف شمال الأطلسي، عملية تقييم لدورها في ضوء موازين القوى الجديدة، فمنذ ذلك الوقت أخذت تحدد دورها وترسم سياستها الخارجية، انطلاقاً من قناعتها بأن لها دوراً مهماً في الاستقرار في منطقة القوقاز، ووسط آسيا ومنطقة الشرق الأوسط، وفي الاستقرار العالمي عموماً دوراً يتجاوز بكثير مفهوم الجسر.¹

بذلت تركيا التي اعتبرت فيما مضى عدوانية إزاء المنطقة جهداً هائلاً في صلاح علاقاتها مع جيرانها بيد أن الربيع العربي جاء ليشكل تحدياً لسياستها الخارجية وقد ناقش الخبراء ما إذا كانت الدولة التركية قادرة على التكيف مع هذه التغيرات، أو ما إذا كانت تجازف بتعريض نفوذها إلى الخطر.

حاضرت تركيا تحولاً سياسياً هائلاً في السنوات الأخيرة ما حسن النظرة العربية إلى هذه القوة الإمبريالية السابقة ووصف هذا التحول بأنه انتقال من سياسة صفر مشاكل إلى نظام إقليمي متناسق وتعتبر نهاية الحرب الباردة وحربي العراق والتراع في أفغانستان والأزمة مع إيران والأزمة المالية العالمية الأخيرة، كلها عوامل ساهمت في قولبة السياسة التركية للخارجية وإعادة قولبتها وتعتبر الانتفاضة العربية أنها تعكس انتقالاً نحو التحول في سياسة تركيا الخارجية باتجاه نظام إقليمي قائم على مزيج من العوامل السياسية الأخلاقية، ومع أن

¹ - فتحة ليتيم، "تركيا والدور الإقليمي الجديد في منطقة الشرق الأوسط"، مجلة المفكر المبدع، ع5، (مارس 2015)، ص 212.

بعض المراقبين يحاولون أن يعزوا هذا¹ التحول إلى التوجه الإيديولوجي للحكومة إلا أنه يعود في الغالب إلى التأقلم مع التغير الإقليمي والعالمي.

تعتبر تركيا قادرة على الاضطلاع بدور أساسي في الحث على الإصلاح وتحقيق الاستقرار والسلام في المنطقة.

تطلب الدول الغربية من تركيا دعم مواقفها في المنطقة مقابل تسهيل انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، كما أن لسياسة إسرائيل إزاء تركيا تهدف إلى الحد من سلطة أنقرة على المدى الطويل من خلال تعزيز التوترات في ما بين مختلف المجموعات الإثنية في تركيا فضلا عن ذلك تجد تركيا نفسها عاجزة أيضا بسبب المواقف المختلفة التي عليها اتخاذها حيال الأنظمة وحيال المتظاهرين في عالم عربي متغير ومثير وأكثر فأكثر للجدل.²

تتجه تركيا إلى معالجة الانقسام الشيء الشيوعي العميق باستخدامها الوسائل الدبلوماسية مع سوريا وإيران وتوقع أن تستمر تركيا في الاستفادة من الاستثمارات الأجنبية المباشرة ومن زيادة في السياحة في السنوات المقبلة على الرغم من المجال الذي سيتجه صعود مصر أمام تركيا للتحرك في الشرق الأوسط.

وتعتبر الدول العربية تتجه نحو الديمقراطية وتستعيد سيادتها ونسب عجز كل تركيا وإيران على تأدية دور بارز في العالم العربي إلى واقع أنهما ليستا دولتين عربيتين وعليهما بالتالي أن تتخطيا عقبات ثقافية وقومية كثيرة، وكما أن المشاكل التي شابت العلاقة بين تركيا والدول العربية تعود هي أيضا إلى الاختلاف الكبير في النظامين السياسي والاجتماعي والاقتصادي لهذين الطرفين، فالأتراك والعرب كان لهما تاريخ من التشابه الكبير إلا أن الأتراك تقدموا في حين أن العرب تراجعوا.

في الختام قال بهجت قراني أستاذ في الجامعة الأمريكية في القاهرة أنه يجب النظر إلى تركيا على أنها دولة شرف أوسطية غير عربية ناجحة وأضاف أنه بحلول العام 2050 سيكون لتركيا جيش من الطراز الأول ونفوذ أكبر من نفوذ ألمانيا وأنها ستحل الدولة التاسعة من بين الدول الأقوى في العالم.³

ثانيا: إسرائيل

¹ - باكيناء الشرقاوي، "إيران وتركيا واقع وآفاق"، مجلة البيان، ع4، (أوت 2017)، ص 27.

² - باكيناء الشرقاوي، مرجع سابق، ص 213.

³ - مصطفى شاكر، "العلاقات مع قوى الشرق الأوسط"، في: <http://www.raialayoum.com/?p=219942>، (2018/02/06).

تطلق إسرائيل من إستراتيجية تقوم على منطلقات القوة العسكرية والرب والصراع وموازن القوى وبسط النفوذ اتجاه الدول العربية سواء تلك التي وقعت معها اتفاقيات سلام أو التي لم توقع معها وأنها تفترض أو وجودها في خطر منذ إنشائها لهذا فإن صراعها مع العرب يدفعها للسعي أن تبقى الطرف الإقليمي الأقوى والمهيمن على المنطقة. بما يسمح لها فرض رؤيتها على الدول العربية وسياستها وأجندتها وهذا ما تؤكد النظرية الإسرائيلية المتعلقة بقضية التوازن الإقليمي على أهمية هيمنتها على منطقة الشرق الأوسط عبر استمرار تفوقها على الدول العربية مجتمعة إلى احتكارها للسلاح النووي لذا فهي لا تتوانى عن حرب أي محاولة لبناء قدرات نووية في المنطقة.

تتميز بوضعها الاقتصادي المتطور وامتلاكها إرادة سياسية موحدة في شؤون أمتها القومي التي تساهم المؤسسة العسكرية في بلورتها وحشد المجتمع الإسرائيلي خلفها، وإلى جانب علاقاتها الإسرائيلية بالولايات المتحدة الأمريكية. بما يسمح لها إدامة تفوقها العسكري النوعي على العرب.¹

شغلت قضية إعادة رسم المحاور الإقليمية في الشرق الأوسط صانع القرار الإسرائيلي وبالتحديد منذ الغزو الأمريكي للعراق عام 2003 وصعود حزب العدالة والتنمية للحكم في تركيا عام 2002، حيث أدى الأول إلى زيادة النفوذ الإيراني في العراق، وأدى التراجع الثاني إلى تراجع العلاقات الإسرائيلية التركية ودخولها في أزمت عنيقة بعد أن كانت توصف في فترة بأن علاقات إستراتيجية، ثم جاء عجز إسرائيل عن إقناع الولايات المتحدة الأمريكية بضرورة توجيه ضربة عسكرية للمشروع النووي الإيراني.

التحولات الدولية التي أصابت النظام الإقليمي العربي لحالة من الضعف الشديد والتدهور الكبير في أنماط القدرات والإمكانات والانقسام الحاد في السياسات العربية، أغرت الكيان الصهيوني لممارسة دور جديد ضد النظام العربي ويقوم على أساس مجموعة من الأهداف الإستراتيجية والتي نذكر منها:

- الحصول على الاعتراف العربي الرسمي الجماعي.
- طرح مشروعه وتصوره للتسوية السلمية مع العرب.
- السعي نحو إقامة ترتيبات إقليمية جديدة تحتل فيها مركزا قياديا.
- زيادة التهديدات المباشرة وغير المباشرة للأمن القومي العربي.

¹ - مصطفى جاسم حسن، "الدور الإقليمي التركي"، في: <http://www.iasj.net/iasj?func=searchaqe> (2018/01/19).

وأبرزت الثورات العربية تحديات كثيرة وفرص قليلة لتلك الأهداف بحيث فقدت إسرائيل نظاما كان حليفا لها وهو نظام حسني مبارك، إلا أنه¹ حسن حظها طالما الجيش يسيطر على النظام في مصر فستبقى اتفاقية السلام جارية، وبالمقابل يشكل إضعاف نظام بشار الأسد في سورية ضربة قوية لمعسكر المقاومة الفلسطينية.

تحاول إسرائيل الاستفادة من التنافس الجيو إستراتيجي في المنطقة بين اللاعبين الدوليين والإقليميين وانشغال الدول العربية بثوراتها وترتيب أوضاعها من أجل إنجاز توجهاتها الهادفة إلى إغلاق القضية الفلسطينية بحلول جزئية واستكمال نهجها في توسيع الاستيطان وفرصة كعمق إستراتيجي وديمغرافي ليكون أحد المحددات الثابتة في أي عملية تفاوضية مقبلة.

قدرة الدول العربية التي شهدت ثورات على إقامة أنظمة ديمقراطية ديناميكية سياسيا واقتصاديا متماسكة أمنيا وعسكريا ومؤثرة دوليا كالدول الديمقراطية كما سوف يحسمه قدرة هذه الأنظمة على تقديم نموذج ناجح داخليا ويعبر في الوقت ذاته عن ميول الرأي العام العربي ونزاعاته الحقيقية ضد الصهيونية.²

ثالثا: إيران

في نهايات القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين شهد العالم خاصة منطقة الشرق الأوسط تحولات سياسية وإستراتيجية كبيرة انعكست مجملها على سير الأحداث في المنطقة، خطة السلام الأمريكية التي هدفت إلى إحداث نقلة نوعية على المسار الفلسطيني والإسرائيلي وقد حمل الفلسطينيون سبب هذا الفشل سواء من قبل الإسرائيليين أو الأمريكيين، لقد وصل الفلسطينيون إلى نتيجة مفادها أن أمريكا ترغب عملية تفاوض شكلية من أجل التفاوض فقط حيث تحرص واشنطن على رعاية مصالح إسرائيل وتحرص دائما على ممارسة كل أشكال الضغوطات على الفلسطينيين فقط.

فشل الرعاية الأمريكية لعملية التفاوض السلمي تزامن مع اندلاع انتفاضة الأقصى في أيلول 2000 بعد أن ضاف الفلسطينيون ذرعا بممارسات الإسرائيليين سواء على صعيد الانتقالات والمضايقات والحواجز أو الاستمرار في بناء المستوطنات ومصادرة الأراضي، امتازت انتفاضة الأقصى بدرجة عالية من العسكرة والمواجهات الدامية والتي سعى من خلالها الفلسطينيون إلى أن يوازنوا أعدائهم في معادلة الدم والرعب والقوة

¹ مايكل ميلشتاين، شرق أوسط قديم جديد: التطورات الجارية وانعكاساتها على إسرائيل، (بيروت: مركز الزيتونة للنشر والتوزيع، 2010)، ص ص 26-27.

² مايكل مليشتاين، مرجع سابق، ص 28.

بعد عام تقريبا من اندلاع انتفاضة الأقصى في الأراضي الفلسطينية، حدث زلزال الحادي عشر من أيلول عام 2001 في الولايات المتحدة والذي ترك أثارا وتداعيات ليس فقط على السياسات الخارجية الأمريكية وعلى كل الأصعدة.¹

انطلقت إيران في تفاعلاتها اتجاه وحدات النظام العربي من منطلق تحقيق مصالحها الاقتصادية والإستراتيجية على حد سواء بغرض كسر الحظر الاقتصادي الذي فرضته عليها الولايات المتحدة الأمريكية منذ عام 1993 فيما عرف بسياسة الاحتواء وقانون السناتور الأمريكي (ألفونسو داماتوا) الهدف هو تشديد الحظر الاقتصادي على إيران عام 1997 وقرار تجريد الأرصدة الإيرانية في الولايات المتحدة الأمريكية في نفس العام، وذلك عبر إتباع سياسة انفتاحية اتجاه جيرانها الخليجيين، بفرض كسر العزلة السياسية التي حاولت الولايات المتحدة الأمريكية أن تفرضها عليها، إذ عملت على تحسين تلك العلاقات مع الدول العربية الرئيسية والفاعلة في النظام العربي كمصر والمحور العربي غير الخليجي، وقد ركزت إيران بدرجة أساسية على مصر منذ عام 1997 باعتبارها تحتل مكانة كبيرة في العالم العربي والإسلامي.²

قامت إيران بإرسال عدد من الوفود لزيارة القاهرة وتحديدًا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، وكانت أهم الزيارات الإيرانية هي زيارة الرئيس خاقمي للقاهرة عام 2002 وكذلك زيارة وزير الخارجية الإيراني كمال حرازي للقاهرة مرتين متتاليتين قبل ذلك عام (2001) وبغرض تنسيق مواقف البلدين في الأمم المتحدة اتجاه الأحداث في المنطقة وإيجاد تعريف واضح وشامل للإرهاب، وفي سبيل تحقيق التقارب الإيراني-العربي عملت إيران على ممارسة الضغط على الحركات الإسلامية في فلسطين ولبنان وإثبات سن نواياها اتجاه الأنظمة العربية المؤيدة لعملية التسوية مع الكيان الصهيوني وعلى رأسها مصر.

قطعت إيران شوطا كبيرا في طريق تحسين علاقاتها مع مصر وكادت أن تصل إلى حد إعادة العلاقات الدبلوماسية المقطوعة بين البلدين منذ أواخر السبعينات، وخصوصا بعد مرحلة الفتور والتدهور التي شهدت العلاقات المصرية- الأمريكية عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر جراء الحملة الإعلانية التي شنتها بعض وسائل الإعلام الأمريكي على مصر والمملكة العربية السعودية واتهامها بالإرهاب.³

¹ - مصطفى اللباد، "إيران والقضية الفلسطينية: مشاعر التضامن وحسابات المصالح"، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 94، (جانفي 2013)، ص 83.

² - محمد عباس ناجي، "مستقبل الدور الإقليمي لإيران بعد الثورات العربية"، مجلة السياسة الدولية، ع 185، (جويلية 2011)، ص 03.

³ - محمد عباس ناجي، مرجع سابق، ص 04.

ارتبطت العلاقات الإيرانية العربية عموماً بالعامل الدولي خصوصاً منذ بداية عقد التسعينات وما شهده من تغيرات في موازين القوى الدولية والإقليمية، والتي كان أحدها حاضراً بقوة في الموقف الإيراني من العدوان الأمريكي البريطاني الأخير على العراق واحتلاله في مارس عام 2003، ويمكن التمييز هنا بين ثلاث مراحل للموقف الإيراني اتجاه ذلك العدوان على النحو الآتي:

– **الموقف الإيراني قبل وقوع العدوان العسكري:** وتمثل ذلك الموقف في الرفض الإيراني لأي عدوان أمريكي بريطاني منفرد خارج نطاق الأمم المتحدة من منطلق أن وقوع ذلك العدوان يمثل تهديداً خطيراً للأمن القومي الإيراني ويقرب التهديد الأمريكي المباشر على إيران بحكم التجاور الجغرافي مع العراق وبسبب التوتر الشديد في العلاقات الإيرانية الأمريكية منذ قيام الثورة الإسلامية في إيران عام 1979 لهذه الأسباب عارضت إيران منع حدوث العدوان العسكري الأمريكي المباشر.¹

عندما تأكد لإيران عزم الولايات المتحدة على شن العدوان على العراق عملت على بلورة موقف يقوم على أساس مهادنة الولايات المتحدة وتجنب الاصطدام المباشر معها عن طريق الإيجاءات بإمكان التعاون والتنسيق معاً لتحقيق مصالح الطرفين الأمريكي والإيراني، حيث بدأت إيران باتخاذ مواقف تدل على ذلك ومنها رفض استقبال وزير الخارجية العراقي ناجي صبري الذي كان ينوي زيارة طهران في أواخر عام 2002 من خلال طرح شروط لقبول تلك الزيارة، مثل طلب تعويضات.

بعد سقوط العراق في يد الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، عملت إيران على محاولة الاستفادة من الوضع الجديد في العراق لتحقيق بعض المكاسب السياسية والمتمثلة في تحقيق مبتهاها.

¹ – علي فايز يوسف الدلابيح، مرجع سابق، ص 84.

المبحث الثالث: الرؤى المستقبلية لبريطانيا في الشرق الأوسط

تعتبر بريطانيا من القوى العظمى التي تمتلك عدة دعائم تمكنها من السيطرة والهيمنة سواء على المستوى الاجتماعي والثقافي والاقتصادي... الخ وتعتبر لها دور كبير وفعال في الاتحاد الأوروبي من الناحية الاقتصادية وعلاقتها كذلك في الشرق الأوسط تسيير حسب مصالحها المناسبة حتى بعد خروجها من الاتحاد الأوروبي تعمل على توطيد وتحسين علاقاتها مع دول الشرق الأوسط وهذا ما سنتطرق إليه من خلال هذا المبحث.

المطلب الأول: العلاقات الشرق أوسطية بعد الحراك العربي

تعتبر منطقة الشرق الأوسط منطقة ذات موقع جيو إستراتيجي يميزها عن باقي المناطق الأخرى لما لها من أهمية اقتصادية وجيو إستراتيجية حيث تعتبر هذه المنطقة مركز أطماع لكثير من الدول العظمى لخدمة مصالحها كالنفط والغاز الموجود فيها مما جعلها تمر بالكثير من الأزمات المختلفة مثل أحداث الربيع العربي. تسبب الاحتجاجات التي اجتاحت الدول العربية إلى تحول جذري في الشرق الأوسط من خلال إعادة تشكيل كلية لنظام العلاقات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المنطقة.

يقر معظم الخبراء أن هذا التحول يعزي أساسا إلى عوامل داخلية، إلا أنه لم يتم تحديد العامل الأهم في التحولات العاصفة، وفي حين يشير البعض على تعثر التنمية الاجتماعية والاقتصادية كسبب رئيسي للاختلالات في المناطق (الفقر، الفساد والبطالة والتضخم الشبابي)، والبعض الآخر يميل إلى إيلاء أهمية أكبر للقضايا السياسية والنفسية (الحكم الاستبدادي والحرمان النسبي وما إلى ذلك)، أو تلك العوامل الاجتماعية السياسية مثل عدم وجود حراك مجتمعي.

تشابك العمليات الجارية في شكل واضح مع الاتجاهات العالمية الأكثر مدعاة للقلق في الواقع فإن الشرق الأوسط تجسده هذه الاتجاهات والعمليات الدولية أصبحت أكثر من أي وقت مضى غير قابلة للحكم ظهور القوة كعامل في العلاقات الدولية، والدور المتعظم الذي تلعبه الصدفة والاحتمالات، محيط العالم وما هو أبعد من ذلك يزداد قوة وسط أزمة في مفهوم الدولة القومية والهوية الوطنية.

كانت نتائج التحول مقلقة صحيح أنه في بعض البلدان توسعت المشاركة السياسية وتم تحديث الأنظمة السياسية وكان هناك بعض التناوب بين نفوذ النخب وقد أيقنت بعض المجتمعات العربية الحاجة للإصلاح ووجدت حلولاً مبتكرة للتعامل مع التهديدات والتحديات الجديدة، ومع ذلك فإن النتيجة الموضوعية لهذه الفترة من التحول حتى الآن كانت إضعاف وأحيانا تدمير مؤسسات الدولة في عدد من الدول.¹

¹ - داوود رمال، تقرير بعنوان: نظرة تيادين أمريكيين إلى أحداث الربيع العربي، (معهد البيان، 2016)، ص 28.

خلق الحروب الأهلية ومئات الآلاف من القتلى والصراعات تتقاتل وتتصاعد وتمتد إلى المناطق المجاورة وإشعال الأزمات الإنسانية وانتشار الإرهاب وظهور داعش باعتباره تهديدا عالميا والتحالفات الجديدة حلت مكان التحالفات القديمة بين النظام الجديد للعلاقات الدولية في بعض المناطق والجهات الفاعلة غير الحكومية أصبحت قوية في شكل متزايد في بعض الحالات.

فرضت هذه القوى الأجنحة الخاصة بها بينما في حالات أخرى كانت وكيلة لقوى خارجية أخرى وتحولت البلدان التي دمرتها الحرب الأهلية إلى مناطق حروب بالوكالة وهذا كله أدى إلى زعزعة النظام وبرز عدة تغيرات في منطقة الشرق الأوسط.¹

عملية التحول غير مكتملة في جميع المستويات ولم تصل ذروتها حتى، ولم تتضح ملامح الإطار الإقليمي في المستقبل بعد، ولم يتم اقتلاع النظام القديم هذا هو سبب التوقعات المتشائمة الحالية في الشرق الأوسط. التحولات السياسية العميقة قد تستغرق عقودا أو حتى فترة أطول، كما يتبين من تاريخ القرن الـ20 يحاولون تفكيك النظام القديم من خلال فترة من الفوضى تمهد الطريق لنوع جديد من الاستقرار.

بالنسبة للطبيعة الفوضوية الوضع لراهن في منطقة الشرق الأوسط يمكن تمييز بعض الاتجاهات المستقرة في تطورها أولا وقبل الذي بناه معمر القذافي على مر السنين وتم الاستيلاء على السلطة الحقيقية من قبل ميليشيات شبه عسكرية، وخاصة في طرابلس في اليمن على الرغم من اختلال التوازنات بين الأديان، بين الأقاليم والقبائل واصلت الأحزاب الحديثة التعايش مع المجتمعات المحلية التقليدية الاجتماعية والدينية. نتيجة لذلك في حين تبدو التسوية السياسية في ليبيا في المدى القريب ذات إشكاليات كبيرة لسبب بسيط هو أنه لا توجد مؤسسات لتوجه الأطراف المتنازعة، ولكن في اليمن يمكن استئناف العملية بدعم من لاعبين من الخارج، على الرغم من المحاولات الفاشلة للحوار الوطني.

في سوريا لم يتم تدمير المؤسسات الحكومية وأثبتت سلطات الدولة أنها قادرة على إدارة الأراضي الواقعة تحت سيطرتها في شكل فعال تماما حتى في خضم حرب دموية وهناك أيضا جماعات المعارضة لمعتدلة على الرغم من أن بعضها تعاون مع الجماعات الإرهابية التي لا تزال نشطة على الرغم من الخسائر الثقيلة التي منيت بها ولا يزالون يسيطرون على جزء من أراضي البلاد وأخيرا فالحرب الأهلية التي يشنها داعش الذي نشأ في العراق

¹ - محمد رضوان، تقرير بعنوان: الثورات العربية، (مركز السلام، 2017)، ص 47.

وامتداد إلى سوريا ويبدو الآن أن جماعات المعارضة المعتدلة بدأت تتلاشى وتهاجر ومع ذلك الفتنة بين الأديان لا تهدد الدولة العراقية على الرغم من كل قضايا الفدرلة في البلاد.¹

الدول المشتتة وتضم مصر وتونس والأردن ولبنان، لقد عاش أول بلدين انتفاضات الربيع العربي لكنهما فشلا في بعض الاتجاهات المستقرة في تطورها وكشف عمليات التحول حدوث انطواء معين في منطقة الشرق الأوسط حتى أصبحت بلدان هذه المنطقة أبعد عن بعضها البعض.

توجد دول في مراحل معينة حاولت الاندماج في أنظمة فرعية إقليمية متنوعة (أوروبية أو متوسطة) اضطرت على نحو متزايد للتركيز على قضايا وأجندات شرق، وفي الوقت نفسه كانت الجهود التي حاولت التأثير على التطورات في الشرق الأوسط من الخارج غير ناجحة.

لا تزال فجوة ضخمة بين الدول العربية وغير العربية في سعيهم للقيادة الإقليمية إيران وتركيا أصبحتا فاعلتين على نحو متزايد في العالم العربي من خلال الاعتماد على جهات محلية ومحاوله اللعب على الجوانب الدينية والإثنية والعرقية، العديد من الأنظمة العربية تنظر إلى الجهود التي تبذلها القوى الإقليمية غير العربية على أنها تمثل تحدياً أمنياً.

قسم خبراء شاركوا في حوار الشرق الأوسط في نادي فالداي الدول العربية إلى أربع مجموعات من حيث قدرتها على التكيف مع التحديات.

تعتبر الدول التي تعاني من حرب أهلية دول هشة ودول سريعة التأثير ودول مستقرة وتضم المجموعة الأولى سوريا والعراق واليمن وليبيا وسيطر على أجزاء مهمة من تلك البلدان من قبل قوات غير حكومية.² فقدت الكثير من المؤسسات الحكومية كل سلطتها في ليبيا، دمرت الثورة النظام السياسي الهش الذي بناه معمر القذافي على مر السنين، واستيعاب صدمات جديدة عن طريق مزج السلطة السياسية التقليدية مع نظام حديث متعدد الأحزاب وفيه منافسة على الرغم من أن المغرب لا يزال يواجه العديد من التحديات، بما في ذلك الفساد والبطالة والوضع المعقد فيما يتعلق بالصحراء الغربية.

البلاد لم تواجه أي تهديدات خطيرة حتى الآن وعموما العديد من البلدان في الشرق الأوسط مستعدة للتغيير التدريجي، ولكن التعصب داخل هذه التجمعات ومحاولات القوى الخارجية لتسريع العمليات الجارية أثبتت نتائج عكسية.

¹ - داوود رمال، مرجع سابق، ص 29.

² - "الشرق الأوسط بعد الحراك العربي"، في: <http://m.aawsat.com/home/article> (2017/09/27).

انتفاضات الربيع العربي فشلت في إحداث إصلاح سياسي عميق ومازالا يفتقدان إلى الخبرة في تعزيز التغيير الديمقراطي، ولا تزال أنظمة الحكم فيها غير فعالة، إن الخطر الرئيسي على استقرار الحكومة يأتي من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي لم تحل بعد واستبعاد حركات المعارضة الشعبية من العملية السياسية، والجماعات الإرهابية سواء ذات المنشأ المحلي أو الأجنبي، ونجح لبنان والأردن نجحاً كبيراً في التغلب على الحركات الاحتجاجية المحلية.¹

يوجد خطر عدم الاستقرار بسبب اللاجئين من سوريا والعراق حيث يشكلون 25% من السكان في لبنان و20% في الأردن.

وجدت لبنان نفسها في حالة صعبة بشكل خاص منذ أن بدأت مواجهة الأزمة السياسية وتوجد بلدان تغلبت على تحديات الربيع العربي ولكن البلدان الضعيفة هي تلك التي نجحت بسهولة في التغلب على تحديات الربيع العربي من خلال أداء حكومي فعال أو من خلال الاستفادة من موارد مالية وفيرة لديها.

لا يزال من الممكن عدم استقرارها في المقام الأول ينطبق هذا على الجزائر والمملكة العربية السعودية وبالنظر إلى أن السعودية تسيطر على منطقة الخليج العربي فمن الواضح أن الاضطرابات في هذا البلد يمكن أن سبب كارثة لغيرها من دول الخليج العربي وخاصة الكويت وعمان التي شهدت بالفعل حركات من الاحتجاج للجماهير مرة أخرى في عام 2011 وأخيراً يصنف الخبراء المغرب كدولة مستقرة بحجة أن النظام السياسي قد أثبت قدرة على التكيف مع مختلف التحديات الداخلية والخارجية واستيعاب صدمات جديدة.²

تعتبر نهاية 2010 بداية التخطيط لعملية الربيع العربي مع استلام الرئيس باراك أوباما وفريقه الإدارة الأمريكية وهي خطة شاملة لتغيير نظم الشرق الأوسط وعلاقاته وهو نفس المشروع الذي أعلنه جورج دبليو بوش في 2004 في لقاء مجموعة الدول الثماني مع تحديثات ستحدث عنها لاحقاً وشمل المخطط على برامج وعمليات تحول ديمقراطي لكل دولة بصورة مختلفة عن الأخرى تبعاً لظروف وأوضاع كل دولة بموجب دراسات حالة تسمى وفق مراكز الأبحاث الأمريكية "Case Study".

¹ - الشرق الأوسط بعد الحراك العربي، مرجع سابق .

² - صالح رضا، "التوجهات الجديدة للحراك العربي"، مجلة السياسة الدولية، ع 06، (2015)، ص 27.

تم تنفيذ الخطوة الأولى من العملية في إيران عام 2009 مع ما سمي بالثورة الخضراء الإطاحة بالنظام الإيراني، ولو قدر أن تم كسر وتغيير النظام الإيراني لمصلحة أمريكا والغرب لكانت سهلت العمليات اللاحقة في العالم العربي.¹

خاصة عملية الإطاحة بالنظام الإيراني بعد الانتخابات الرئاسية التي حرت في 12 حزيران من العام 2009 وفجرت صراعاً بين أجنحة النظام الإسلامي، كان يتوقع أن يسقط النظام الإيراني كأول خطوة ناجحة في عملية إصلاح الشرق الأوسط ولو قدر أن كسر وتغيير النظام الإيراني لمصلحة أمريكا والغرب لكانت سهلت العمليات اللاحقة في العالم العربي خاصة عملية الإطاحة بالنظام السوري الذي كان سيضعف موقعه فيها لو سقط حليفه الإيراني عام 2009 وكان ينبغي أن يكون هذا النجاح أثر الدومينو بما يبعث برسائل واضحة إلى القيادة الأمريكية بموقع القارة في إطار إعادة ترتيب الأوراق الدولية قبل الانفصال إلى تنفيذ أولويات الإستراتيجية العسكرية والسياسية الأمريكية الجديدة بإعادة التوجه نحو آسيا والباسيفيك.

ومن خطوات الربيع العربي هي إنجاز مشروع التحولات العربية لمعهد السلام الأمريكي "Usip" عام 2010 تحت عنوان تعزيز الأمن والديمقراطية في الشرق الأوسط الكبير.

- تنسيق العمليات السياسية الانتقالية.

- الإشراف على توزيع المساعدات المالية على النظم الجديدة.

دخلت منطقة الشرق الأوسط مرحلة حساسة بفضل أحداث الربيع العربي وأنه يجب إعطاء دفعة قوية من الديمقراطية لضمان المصالح وتوفير الصدقية والشرعية على المدى البعيد.²

ويمكن وصف العلاقات الشرق الأوسطية بعد أحداث الربيع العربي بجملة من الأسباب وهي:

- تحديد السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط تحت عنوان الإصلاح السياسي والتحول الديمقراطي لضمان فوز النجاح.

- إعادة إنتاج دور جديد في الشرق الأوسط تبريراً لقيادة العالم والهيمنة عليه.

- توجيه وتحويل رصد الإخوان المسلمين لترميم المحور الأمريكي والروسي والبريطاني في المنطقة (الشرق الأوسط).

¹ حسن محمد الزين، الربيع العربي آخر عمليات الشرق الأوسط الكبير، (بيروت - لبنان: دار القلم الجديد، 2013)، ص 96.

² - المرجع نفسه، ص 97.

- تقليص النمو الاقتصادي والسياسي لمحور البريكس وخاصة الصين وروسيا في قارات إفريقيا وآسيا.
- ضرب محور المقاومة الذي تقوده إيران في المنطقة من خلال إثارة الفتنة السنية-الشيوعية وإسقاط النظام السوري من هذا المحور وإخراج حركة حماس منه.
- حماية الكيان الصهيوني من خلال تغيير البيئة الإستراتيجية وتعديل جدول أعمال العالم العربي من بند المقاومة والتحرير إلى بند الإصلاحات الديمقراطية والتنمية.
- إحداث هجرة معاكسة للنشطين الإسلاميين من الغرب إلى الشرق تقليصا لحجم الكتلة الديمغرافية والتنظيمية للجماعات الإسلامية الناشطة في الغرب.¹

نحجت الانتفاضات والثورات التي مازالت مستمرة في شمال إفريقيا في الإطاحة برموز الدكتاتورية شرق الأوسطية التي تدعمها القوى الإمبريالية، وفيما تنتشر الثورة الشعبية العربية لتصل إلى الخليج فتتعمق مطالبها لتشمل إصلاحات اجتماعية واقتصادية إلى جانب الإصلاحات السياسية قامت الإمبراطورية بتوجيه ضربتها، ويستخدم المجلس العسكري للحاكم في مصر العنف ضد الثورات المطالبين بالديمقراطية وتتطلع إلى شركائه في الخليج وشبه الجزيرة العربية ليعملوا معا على إغراق حركات المجتمع المدني.

تعد معظم اقتصاديات الشرق الأوسط اقتصاديات ريعية تعتمد على عائدات النفط والغاز والمعادن والسياحة التي تشكل معظم الدخل من الصادرات ومصدر إيرادات الدولة عمليا.

هذه القطاعات الاقتصادية هي معازل تصدير توظف جزءا ضئيلا من القوة العاملة وتوجد اقتصاد على درجة عالية من التخصص ليس لقطاعات التصدير ما يربطها باقتصاد محل إنتاجي متنوع يصدر البترول ويستورد جميع السلع المصنعة المكتملة وكذلك الخدمات المالية وخدمات التكنولوجيا الرفيعة وتتحكم فيها شركات متعددة الجنسيات وأجانب² مرتبطون بالطبقة الحاكمة.

تدعم السياحة الدخل الريعي بصفتها القطاع الذي يوفر النقد الأجنبي والعائدات الضريبية للدولة (الطبقية/العشائر) والتي تعتمد على رأس المال الأجنبي الذي تدعمه الدولة وعلى أصحاب المشروعات العقارية المحللين ذوي الروابط السياسية وعمال الإنشاءات الأجانب، تنتشر خاصة ثورات الربيع العربي من أنحاء شمال إفريقيا والشرق الأوسط إلى دول الخليج نتاج أوضاع تاريخية واجتماعية متشابهة وتعتمد على عائدات السياحة

¹ حسن العيسوي، "احتجاجات الشرق أوسطية - ثورات"، في: <https://www.albayan.ae/economy> (2017/05/22).

² جيمس بتراس، الثورة العربية والثورة المضادة، تر، فاطمة الزهراء، (مصر: سطور للنشر والتوزيع، 2012)، ص 107.

أو النفط وصادرات الطاقة، وثورات الربيع هدفها الأساسي هو الاختراق الاقتصادي خاصة في منطقة الشرق الأوسط من قبل الأفراد، الشركات الخاصة أو الدولة أو التدخل العسكري لاستغلال المعالم الاقتصادية والجيوسياسية لهذه المنطقة وما تمتلكه من ثروات مختلفة.¹

المطلب الثاني: العلاقات البريطانية في الشرق الأوسط بعد انفصالها من الاتحاد الأوروبي

تتعدد وتختلف أسباب وتداعيات انفصال بريطانيا عن الاتحاد الأوروبي سواء كانت اقتصادية أو جيوسياسية وأمنية وهذا ما سنحاول التطرق إليه في هذا المطلب.

جاء الاستفتاء بناء على وعد انتخابي تعهد به رئيس الوزراء البريطاني ديفيد كاميرون عام 2013 بإجراء الاستفتاء في حال تم انتخابه مجدداً في انتخابات عام 2015 وكان كاميرون قد رفض فكرة إجراء الاستفتاء سابقاً عام 2012، لكن بعدها وبسبب تزايد ضغوط جناح أقصى اليمين في حزب المحافظين المناهض للاتحاد الأوروبي ولاستقطاب مزيد من الأصوات في انتخابات عام 2015 وخاصة بعد صعود حزب استقلال بريطانيا اليميني في انتخابات المقاطعات عام 2014 وتحقيقه فوزاً مفاجئاً في انتخابات البرلمان الأوروبي.

وأجرى استفتاء في بريطانيا في 23 يونيو 2016 حول البقاء أو الخروج من الاتحاد الأوروبي فأنتصار الرأي الذي يؤيد الخروج من الاتحاد الأوروبي بلغ نسبة 52% تقريباً ما شكل صدمة ليس فقط للأوروبيين بل حتى لبقية العالم.

توجد مسائل أخرى زادت من حدة هذه المطالبات مثل أزمة اليورو، اشترك الاتحاد الأوروبي على الدول الأعضاء فيه تقديم مساعدات مالية لإنقاذ الدول المتعثرة مثل اليونان والبرتغال وكذلك اشترط الاتحاد الأوروبي على الدول الأعضاء فيه تقديم مساعدات مالية استضافة نصيب من المهاجرين الوافدين من أوروبا بعد الأزمات في الشرق الأوسط.

حاولت حكومة ديفيد كاميرون التلويح بالاستفتاء كورقة ضغط على الاتحاد الأوروبي لنيل وضع خاص لبريطانيا يضمن لها استقلالها على مساعي الاتحاد الأوروبي لاندماج سياسي أكبر.

حققت بريطانيا بعض مطالبها في هذا الاتفاق الذي توصلت إليه مع الاتحاد الأوروبي في شهر فبراير 2016، حيث قدم الاتحاد بعض التنازلات للتشجيع الناخبين البريطانيين على التصويت لمصلحة بقاء بريطانيا في منظومته ومنها تعطيل نفقات الرعاية الاجتماعية لعائلات مهاجري أوروبا إلى بريطانيا لمدة تصل إلى 07

¹ - المرجع نفسه، ص 108.

سنوات ومنح بريطانيا حق سن تشريعات طوارئ لحماية العاصمة لندن، بغض النظر مع تعارضها مع التشريعات الأوروبية.

ساهمت نتيجة الاستفتاء على استقلال اسكتلندا في سبتمبر 2014 والتي جاءت في مصلحة حكومة كامبيون ببقائها في المملكة المتحدة في رهانة بشكل أكبر على التمادي في استخدام الاستفتاء على البقاء في الاتحاد الأوروبي.

هذه الأسباب كلها كانت كورقة ضغط على الاتحاد الأوروبي وهو ما أدى إلى المضي في إجراء الاستفتاء.¹

يمكن تقسيم تداعيات انفصال بريطانيا عن الاتحاد الأوروبي إلى اقتصادية وجيو سياسية وأمنية وسياسية محلية كما يلي:

أ- التداعيات الاقتصادية:

- توفير تكاليف العضوية في الاتحاد الأوروبي حيث شكلت هذه النفقطة أحد أهم نقاط القوة التي طرحها مؤيدو خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي إذ يقدر أن بريطانيا تنفق ما نسبته 11% من إجمالي الناتج المحلي لها (ما يقدر بنحو 200 مليار جنيه إسترليني) لتكاليف مباشرة وغير مباشرة لوجودها ضمن الاتحاد الأوروبي وتشمل هذه التكاليف:

* **التكاليف المباشرة:** المتمثلة في مساهمة بريطانيا في ميزانية الاتحاد الأوروبي التي تقدر بنحو 1.25% من إجمالي الناتج المحلي البريطاني، حيث بلغ صافي ما دفعته بريطانيا عام 2015 للاتحاد الأوروبي حوالي 8.6 مليار جنيه إسترليني هو ما يمثل 12% من ميزانية الاتحاد الأوروبي ويتوقع أن خروج بريطانيا يؤدي إلى توفير هذه النفقات لدعم الخدمات الصحية التي تعاني ضغطا كبيرا في ظل تقليص الميزانية المخصصة لها.

توفير تكاليف مساهمة بريطانيا في ميزانية الاتحاد الأوروبي تشكل 7% مما تنفقه الدولة على قطاع الخدمات الصحية، ومن ناحية أخرى ستؤدي خسارة الاتحاد الأوروبي لـ 12% من ميزانية في مشروعات مؤسساتية وتتأثر المساعدات الأوروبية المقدمة إلى الدول النامية كما يتوقع تقليص النفقات التي يخصصها الاتحاد الأوروبي لمساعدة اللاجئين والمهاجرين.

¹ - كريس دول، "تأملات في استطلاعات الرأي البريطانية عن الاتحاد الأوروبي"، في: <https://m.aawsat.com/home/article> (2016/11/15).

* **التكاليف غير المباشرة:** وتشمل التكاليف المترتبة على بريطانيا بسبب امتثالها لتشريعات الاتحاد الأوروبي مثل تشريعات قوانين العمل.

– القيود المالية.

– السياسات الزراعية والأوروبية المشتركة أو ما يعرف بالـCAP.

– التكاليف المترتبة على ازدياد البطالة بين صفوف البريطانيين بسبب المهاجرين الأوروبيين.

– مكافحة الاحتيال والفساد والهدر ويبلغ مجموع هذه التكاليف نحو 9.75% من إجمالي الناتج المحلي البريطاني.¹

– تداعيات الخروج على التجارة وحركة البضائع.

يشكل الاقتصاد البريطاني حوالي 15% من اقتصاد الاتحاد الأوروبي وتبلغ الصادرات البريطانية حوالي 20% من صادرات الاتحاد الأوروبي إلى الخارج (دون احتساب الصادرات البينية بين دول الاتحاد نفسها، بينما تشكل الاتحاد سوقا لـ50% من الصادرات البريطانية).

من المعروف أنه لا توجد تعرفه جمركية على حركة مرور البضائع والمبيعات بين دول الاتحاد وسيؤثر خروج بريطانيا بشدة في تجارتها مع الاتحاد في حال لم تتوصل معه إلى علاقة خاصة تمنحها ميزات تجارية، مع الأخذ في الاعتبار أن انفصال بريطانيا عن الاتحاد الأوروبي سيستغرق في حده الأدنى عامين وفقا للمادة 500 من معاهدة لشبونة.

رغم وجود اتفاق وتوقعات مطروحة بأن تتوصل بريطانيا إلى اتفاق مع الاتحاد ينظم العلاقة التجارية بينها وبينه على غرار الترويج.

– بريطانيا مرتبطة ارتباطا وثيقا بالاتحاد الأوروبي على عكس ذلك.

– تمثل صادرات بريطانيا 44% للاتحاد الأوروبي و60% مع الاتحاد الأوروبي.

– تعتبر بريطانيا هي الركيزة الأساسية للاستثمارات الخارجية في الاتحاد الأوروبي.

¹ – تقرير بعنوان: **تداعيات خروج بريطانيا عن الاتحاد الأوروبي**، (مركز السياسات للإمارات، 2016)، ص 06.

من المتوقع أن تدفع بعض الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي وتحديدًا ألمانيا وفرنسا باتخاذ إجراءات حمائية ضد الصادرات البريطانية وبالذات المنتجات الزراعية لكن ذلك لا يعني قطع العلاقات التجارية مع بريطانيا.¹

تشير بعض الدراسات إلى أنه في أسوأ السيناريوهات سيخسر الاقتصاد البريطاني بسبب فقدانه ميزة السوق الأوروبية الموحدة ما يعادل 2.2% من الناتج المحلي الإجمالي بحلول عام 2030، أي ما يعني تعرض الاقتصاد البريطاني إلى تأثير يوازي ثلث التأثير الذي تعرض إليه في فترة الركود الاقتصادي عام 2008-2009.

كما تشير الدراسات إلا أنه في أفضل السيناريوهات إذ استطاعت بريطانيا بعد خروجها الحفاظ على ميزة السوق الأوروبية الموحدة كما هو الحال قبل انفصالها عن الاتحاد (النموذج الترويجي) فإن ذلك سيؤدي إلى نمو الناتج المحلي بنسبة 1.6%.
- تداعيات الخروج عن الاستثمارات:

شهد الاستثمار الداخلي تباطؤ قبل التصويت وذلك بسبب ازدياد حالة عدم التيقن والتخوف من النتائج وهو ما حدث أيضا في الاستفتاء على انفصال اسكتلندا عام 2014 وعلى المدى الطويل وهناك سيناريوهان عن خروج بريطانيا عن الاتحاد الأوروبي وكيف تتأثر استثماراتها:

● **السيناريو الأول:** أن تهتز مكانة بريطانيا كأحد المراكز المالية العالمية بحيث لن ينظر إليها بعد ذلك كبوابة للبنوك الأمريكية نحو دول الاتحاد الأوروبي وربما تلجأ البنوك العالمية مثل بنك (P Morgan) التي تتخذ بريطانيا مركزا رئيسيا لها ولأعمالها في أوروبا.

● **السيناريو الثاني:** أن يؤدي خروج بريطانيا إلى تداعي الاتحاد الأوروبي ومن المتوقع حينها أن تعود بريطانيا لتعتبر الملاذ الأوروبي الآمن للاستثمارات العالمية، وأن تستقطب استثمارات على حساب كل من فرنسا وألمانيا وهو السيناريو الذي تراهن عليه القوى السياسية البريطانية الذي دفعت باتجاه الخروج من الاتحاد الأوروبي ترى هذه القوى أن للاتجاه نحو العولمة الاقتصادية أفضل من التكتلات الاقتصادية الإقليمية التي يفرض للانضمام إليها استحقاقات سياسية ملزمة قد تتعارض مع السياسات الوطنية.²

¹– Andro John, "the consequences of a British exit from the European union", **Journal of political science**, (2016), P 18.

²– تداعيات خروج بريطانيا عن الاتحاد الأوروبي، مرجع سابق، ص 08.

تداعيات الخروج عن العملتين البريطانية والأوروبية

أدى خروج بريطانيا إلى تعرض الجنيه الإسترليني لهزة عنيفة فقد سجل فور إعلان نتائج الاستفتاء انخفاضاً في قيمته بنسبة 10% وهي أكبر نسبة انخفاض تسجل منذ عام 1985 كما سجل اليورو أيضاً انخفاضاً كبيراً عما يعانيه من تراجع بالأصل بسبب تباطؤ النمو الاقتصادي في منطقة اليورو. من المتوقع أن يستمر الجنيه الإسترليني بالانخفاض بسبب حالة عدم الاستقرار في الاقتصاد البريطاني والتداعيات السياسية المتوقعة في الداخل البريطاني وتأثيرها في المناخ الاستثماري وتشير التداعيات إلى أن الجنيه الإسترليني قد يصل إلى معدل 1.2 دولار في نهاية 2016، إلا أنه في حال تمت الموافقة على استفتاء انفصال اسكتلندا أو استفتاء توحيد أيرلندا أو حتى لو اتفقت بريطانيا والاتحاد الأوروبي على الخروج وفقاً للمادة 50 من معاهدة لشبونة وليس وفقاً لمنح بريطانيا معاملة خاصة ضمن المتوقع أن يواصل الجنيه الإسترليني هبوطه وربما يسجل مستويات قياسية أخرى.

تداعيات الخروج على توفير فرص العمل والهجرة الأوروبية إلى بريطانيا

وفقاً لقوانين الاتحاد الأوروبي فإن مواطني الدول الأعضاء فيه يمنحون حق التنقل والإقامة والعمل في جميع دوله، بالتساوي مع مواطني كل دولة منه وهو ما أدى إلى هجرة كبيرة من مواطني دول جنوب وشرق أوروبا إلى بريطانيا، حيث بلغ عدد المهاجرين من رومانيا وبلغاريا نحو مليون مهاجر إضافة إلى حوالي مليون أخرى من دول أوروبا الغربية وهو ما شكل ضغط على البنية التحتية والخدمات الصحية والمساعدات الحكومية المقدمة إلى العاطلين عن العمل وأطفال المهاجرين وأدى أيضاً إلى ارتفاع كبير في أسعار الإيجارات.¹ يعتبر موضوع الهجرة من أهم الأسباب للمطالبة من الخروج من الاتحاد الأوروبي وسينعكس خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي إيجابياً على الاقتصاد المحلي من هذا الجانب بسبب توقعات بتوافر فرص العمل في قطاعات معينة وانخفاض معدل التضخم في إيجارات المساكن وأسعارها لكن مع توقعات بنقص الأيدي العاملة في بعض المجالات المختصة مثل القطاع الصحي وهو ما قد يؤدي بالتالي إلى رفع مستوى الأجور. إلا أن قطاعات أخرى مرتبطة بالتجارة والاستثمارات مع دول الاتحاد الأوروبي ستشهد ازدياداً في أن عدد الوظائف المرتبطة بالتجارة والاستثمار مع دول الاتحاد يبلغ 3 ملايين وظيفة إلا أنه لا يتوقع خسارتها كلها بسبب عدم ارتباطها جميعاً ببقاء بريطانيا داخل منظومة الاتحاد.²

¹ - Andro John, *op cit*, P 19.

² - كارل هوفر، "بريطانيا واقع وآفاق"، في: <https://azeridaily.com/analytics> (2018/01/17).

التداعيات الجيوسياسية والأمنية

1. التداعيات على مكانة بريطانيا الإقليمية والعالمية: لا يتوقع أن تتأثر السياسة الخارجية بشكل عام أو

القدرات الدبلوماسية لبريطانيا كثيرا بخروجها من الاتحاد الأوروبي لعدة أسباب منها:

- ظلت السياسة الخارجية البريطانية في الجمل مستقلة في أثناء وجود بريطانيا في الاتحاد الأوروبي ولم تكن تواجه معارضة حقيقية في المسائل المفصلة والمهمة داخل الاتحاد الأوروبي، فالدول الأوروبية بشكل عام، حتى تلك التي ليست عضوا في الاتحاد الأوروبي تتناغم في الخطوط العامة لسياساتها الخارجية إزاء القضايا الكبرى مثل القضية الفلسطينية وقضايا محاربة الإرهاب.

- من المتوقع أن تميل السياسة الخارجية لبريطانيا بعد خروجها من الاتحاد الأوروبي أكثر نحو تبني المواقف الأمريكية بخاصة في حال تولي بورييس جونسون المرشح الأوفر حظا لخلافة ديفيد كامبرون.

- هناك خلافات داخلية بين بريطانيا ودول أوروبية أخرى مثل فرنسا وألمانيا على قضايا تنظيمية وإجرائية وقضايا متعلقة بسياسات الهجرة ومن المتوقع أن تبقى هذه الخلافات على حالها في حال خروج بريطانيا من الاتحاد.

- في حال لم تتوصل بريطانيا إلى اتفاقية تمنحها علاقة خاصة مع الاتحاد الأوروبي بعد خروجها منه فقد يؤدي التنافس الاقتصادي المتوقع بين الجانبين إلى تعارض السياسات في القضايا الإقليمية الأوروبية بينهما وتباعد في وجهات النظر السياسية الخارجية.

- تسعى بريطانيا إلى تقرير علاقاتها مع الدول الأوروبية خارج منظومة الاتحاد الأوروبي مثل سويسرا والنرويج وتعزيز علاقاتها الثنائية مع دول الاتحاد التي خارج منطقة اليورو مثل السويد والدانمارك.

- أرادت بريطانيا الانفصال هذا الانفصال سيؤدي إلى منحها قدرا أكبر من المرونة في التأثير في القرارات الدولية وفقا لعلاقاتها الثنائية دون أن تكون ملزمة بقرارات الاتحاد الأوروبي وتوجيهاته مثل العلاقة مع روسيا والصين أو مع إيران.

2. التداعيات على التكامل والوحدة الأوروبية

يؤدي خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي إلى تأثير كبير في مكانة الأخير ككتلة إقليمية فاعلة في السياسة الدولية بسبب فقدانه جزءا كبيرا من ميزانية إضافة إلى النقل الدبلوماسي والعسكري لبريطانيا وهو ما سيجعل من الاتحاد الأوروبي أقل قوة في مواجهة تأثير القوى الكبرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والصين.

والتخوف الأكبر بالطبع هو مسألة ألا يتوقف الأمر عند خروج بريطانيا بل أن يؤدي خروجها إلى إطلاق تأثير الدومينو التفاعل المتسلسل، وهو ازدياد أصوات الأحزاب اليمينية المتطرفة المطالبة بالانفصال عن الاتحاد الأوروبي داخل دول أخرى.¹

مثل حزب الجبهة الوطنية الفرنسي وحزب الحرية الهولندي وحركة النجوم الخمسة الإيطالية التي بالفعل بالمطالبة باستفتاءات في بلدانها، إضافة إلى مطالبات شعبية في بلدان أخرى مثل اليونان بسبب أوضاعها لاقتصادية وقد تؤدي حالة عدم الاستقرار الاقتصادي في منطقة اليورو بسبب خروج بريطانيا إلى تعرض الاقتصاد الأوروبي لانتكاسة ربما تسفر على انهيار اليورو في حال لم تبادل دول النقل في الاتحاد الأوروبي مثل فرنسا وألمانيا إلى إجراءات تحول دون ذلك.

3. التداعيات على الأمن الأوروبي المشترك والعلاقات عبر الأطلسية

خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي يؤدي إلى حرمانه من إحدى القوتين العسكريتين الرئيسيتين فيه اللتين يعتمد عليهما في فضح إستراتيجياته الدفاعية على المستوى العالمي وهما بريطانيا وفرنسا وبالنسبة إلى بريطانيا نفسها فستكون تداعيات انفصال أقل عليها من الاتحاد الأوروبي.

التعاون الوثيق بينهما وبين فرنسا يعد الأكبر في نطاق أوروبا وهو في الأصل تعاون ثنائي غير مرتبط بمنظومة الاتحاد الأوروبي وسبق للدولتين أن شكلتا من بطء التقدم في التعاون الأمني والدفاعي داخل منظومة الاتحاد الأوروبي.²

في المجال الأمني وبخاصة فيما يتعلق بأمن الحدود لا يتوقع أن يكون لانسحاب بريطانيا من الاتحاد الأوروبي أثر كبير عليها أو على الاتحاد نفسه.

دول الاتحاد تعاني حالياً من ضعف التنسيق الأمني بينهما وهو ما ظهر جلياً في هجمات باريس وبروكسل، كما أن بريطانيا تعتمد في تنسيقها الاستخباراتي والمعلوماتي في القضايا الكبرى المتعلقة بالأمن الوطني مثل الإرهاب على تعاونها مع الولايات المتحدة أكثر منه مع أوروبا.

انفصال بريطانيا من المتوقع أن يضعف موقفها والاتحاد الأوروبي في المفاوضات الجارية حالياً بخصوص اتفاقية الشراكة الأطلسية للتجارة والاستثمار المعروفة باسم TTIP التي تهدف إلى خلق أكبر منطقة تجارة حرة في العالم بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي وهي اتفاقية كانت تعول بريطانيا عليها، بهدف

¹ – James Ellison, Reporter entitled: **Britain and the European Union**, (University of peace, 2016), P 18.

²- James Ellison, *op cit* ،P 19.

صادراتها إلى الولايات المتحدة على عكس كثير من دول الاتحاد الأوروبي التي كانت تتخوف من إغراق الأسواق الأوروبية بالمنتجات الأمريكية.

خروج بريطانيا يؤدي إلى منحها حرية أكبر في عقد اتفاقيات ثنائية إستراتيجية واقتصادية مع كل من الولايات المتحدة وكندا دون أن تكون مقيدة بالسياسات الخارجية والاقتصادية للاتحاد الأوروبي.¹

التداعيات على السياسة المحلية

خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي له تأثير كبير على السياسة الداخلية البريطانية، حيث سيشكل خروجها دعماً سياسياً كبيراً لاتجاهات أقصى اليمين مثل حزب استقلال بريطانيا وجناح أقصى اليمين داخل حزب المحافظين إلى تأثيراته المحتملة في الانسجام.

والتوافق الداخلي لحزب المحافظين الذي أيد نصف أعضائه فكرة الخروج من الاتحاد الأوروبي إضافة إلى تداعيات استقالة رئيس الوزراء ديفيد كامرون على السياسة البريطانية الداخلية والخارجية وعلى قيادة حزب المحافظين أيضاً كما سيكون لاختيار رئيس الحكومة المقبل تأثير في تحديد شكل العلاقة المقبلة مع الاتحاد الأوروبي.²

خروج بريطانيا له تداعيات على السياسة الدولية والمجتمع البريطاني حيث سيشكل دعماً لموجة العداة للمهاجرين بشكل عام وموجة الكراهية للمسلمين بشكل خاص فضلاً عن أنه ستكون له انعكاسات على وحدة المملكة المتحدة إذ تعالت الأصوات المطالبة بإعادة الاستفتاء على انفصال اسكتلندا عن المملكة المتحدة حيث أيدت غالبية الاتجاهات السياسية الاسكتلندية وعلى رأسها الحزب القومي الاسكتلندي البقاء ضمن الاتحاد الأوروبي وصرحت زعيمة الحزب رئيسية وزراء اسكتلندا "نيكولا ستورجن" أن الاسكتلنديين يرون مستقبلهم داخل الاتحاد الأوروبي والأمر نفسه تكرر أيضاً في الأوساط السياسية الأيرلندية الشمالية حيث دعا حزب الشين فين أحد أبرز الأحزاب الأيرلندية إلى طرح استفتاء على توحيد أيرلندا الشمالية مع أيرلندا الجنوبية (وهي عضو في الاتحاد الأوروبي وهو ما يعني بطبيعة الحال الانفصال عن المملكة المتحدة).³

¹ - كريس دول، مرجع سابق.

² - فريد سالم، تقرير بعنوان: أحداث بريطانيا والاتحاد الأوروبي، (مركز البيان، 2017)، ص 49.

³ - المرجع نفسه، ص 49.

ما يتعلق بتأثيرات القرار على سياسة بريطانيا في الشرق الأوسط وعلاقتها وهي التي تربطها علاقات اقتصادية قوية بالدول العربية خاصة ودول الخليج يقول "خوليف زيدان" أستاذ العلاقات الدولية بجامعة باريس في عدة تصريحات "سنرى انسجاما أكبر مع السياسة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط وستصبح بريطانيا فعليا الضفة الأمريكية في أوروبا".

كانت بريطانيا قريبة من السياسة الأمريكية حتى في السابق رغم وجودها في الفيلق الأوروبي لكن ليس بنفس الحدة وذلك من أجل مراعاة السياسة الخارجية الأوروبية المشتركة عندما تكون هذه الأخيرة بعيدة عن التوجهات الأمريكية، ولكن هنا قلما يعد هناك هذا المبرر وستتحول بريطانيا إلى منظار أمريكي في المنطقة.¹ بخصوص نتائج خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي فإن بريطانيا توجهاتها تبقى نفسها وكل ما سيتغير هو أن ألمانيا وفرنسا ستقودان الآن الباحة الأوروبية التي كانت تطلقها بريطانيا من خلال معارضتها للكثير من قرارات الاتحاد الأوروبي.

تعتبر بريطانيا نفسها تربطها علاقات تاريخية وتجارية وسياسية وحتى نفسية بالعرب وبالذات دول الخليج التي تشكل المخزون المالي الأكبر لها فهناك أكثر من 60 مليار دولار من الاستثمارات العربية في بريطانيا حاليا.

العرب حريصين على استمرار التعاون مع بريطانيا بسبب عامل اللغة والاستعمار إلا أنهم يفضلونها ضمن أوروبا قوية لخلق التوازن مع الولايات المتحدة من جهة وروسيا من جهة أخرى.

كان وزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجي عقدوا اجتماعات مع نظيرهم البريطاني "فيليب هاموند" أثناء زيارته إلى السعودية بهدف تعزيز العلاقات بين الجانبين وقال حينها وزير الخارجية السعودي "عادل الجبير" إن دول مجلس التعاون تربطها علاقات² عميقة مع بريطانيا وتمتد جذورها إلى أكثر من مئة عام مشيرا إلى أن التعاون بين دول المجلس وبريطانيا قائم وبناء في المجالات الاقتصادية والأمنية والعسكرية والمجالات التعليمية والطبية.

¹ - "بريطانيا أي مستقبل مع الشرق الأوسط بعد الانفصال"، في <https://www.railayoum.com/?p=219942> (2018/02/24).

² - سالم فؤاد، تقرير بعنوان: العلاقات البريطانية، (مركز البيان، 2017)، ص 28.

بريطانيا التي كان لها دور كبير في منطقة الشرق الأوسط بشكل مباشر منذ مئات السنوات ستجد في الخروج من أوروبا فرصة للتعامل مع الشرق الأوسط بشكل أكثر براغماتية وبما يراعي مصلحة بريطانيا وحدها.

تعمل بريطانيا على بعد خروجها على تعزيز علاقاتها الاقتصادية والتجارية مع الدول العربية وخصوصا دول الخليج وضرورة خلق بيئة استثمارية تجذب هؤلاء المستثمرين للحفاظ على التبادل التجاري الضخم مع الشرق الأوسط والذي يصل إلى 18 مليار دولار من الصادرات سنويا.

يعني خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي لدول الخليج توفير المزيد من الفرص في مجالات التجارة والاستثمار، حيث يعتبر المستثمرين العرب قوة كبيرة في الاستثمار الخارجي في بريطانيا خصوصا في مجال السوق العقاري.

توجه بريطانيا نحو سياسة أكثر براغماتية ستكون فرصة لصعود بعض القوى العالمية لزيادة نشاطها والاستفادة من الاستثمارات في الشرق الأوسط والصين هي واحدة من أبرز الدول التي تسعى نحو ذلك.¹

في حال قررت الحكومة البريطانية الجديدة بعد الخروج التوجه نحو إجراءات اقتصادية متحفظة ومنغلقة اتجاه الاستثمارات التي تأتي من الدول العربية ودول الخليج على وجه الخصوص الخروج البريطاني سيكون له تأثير كبير على مختلف مناطق العالم وأبرزها منطقة الشرق الأوسط وسيغير بشكل كبير في الأسواق الأوروبية والعالمية وتبقى سياسة الحكومة التي ستدير بريطانيا بعد الخروج هي المسؤولة عن تحديد هذا التغيير، تعتبر السعودية أن خروج بريطانيا سيعني انخفاض أسعار وارداتها وكذلك أسعار الاستثمار والشراء في القطاع العقاري ضمن المملكة المتحدة وهو ما سيكون فرصة ذهبية لرجال الأعمال العرب والمستثمرين الخليجيين الدخول بقوة إلى السوق البريطانية.

شهدت العلاقات بين قطر وبريطانيا حضورا ملحوظا خلال عام 2017 حيث اتسم بأنه عام التميز في قوة العلاقات القطرية البريطانية على المستويين السياسي والاقتصادي خاصة بعد الحصار الذي فرضته السعودية وحلفاؤها على قطر منذ 5 يونيو.

تتحامل بريطانيا مع قطر كحليف إستراتيجي وهو ما كان واضحا من خلال التحركات الدبلوماسية والبرلمانية التي قام بها الوزراء البريطانيون لإنهاء الحصار، حيث قام وزير الخارجية البريطاني "بوريس جونسون" بزيارة إلى قطر والسعودية والكويت من خلال محاولة حثيثة لإنهاء الحصار بالطرق الدبلوماسية.

¹ - سالم فؤاد، مرجع سابق، ص 29.

في ديسمبر الجاري وقع 13 عضو في البرلمان البريطاني على وثيقة برلمانية تطالب بمناقشة موضوع حصار قطر وأثره على حقوق الإنسان في مجلس الصمود البريطاني وذلك في خطوة عملية جادة للتأكيد على رفضهم للحصار الذي تفرضه المملكة العربية السعودية وحلفاؤها على قطر.

استضاف البرلمان البريطاني ندوة نقاشية حول دور شبكة الجزيرة الإعلامية في العالم العربي، وتحدثت النائبة "كاترين ويست" عن أهمية دور شبكة الجزيرة الإعلامية في منطقة الشرق الأوسط خاصة في فترة انطلاق الثورات الربيع العربي في المنطقة.¹

- تسعى بريطانيا إلى زيادة توسعها في الأسواق العربية للتعويض عن الانخفاض المحتمل في صادراتها إلى دول الاتحاد الأوروبي.

- خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي حالة من التنافس بينها وبين الاتحاد الأوروبي على الشراكة الاقتصادية مع دول منطقة الشرق الأوسط مثل إيران، الخليج العربي وبخاصة في مجالات الطاقة.

- حالة عدم الاستقرار في الاقتصاد البريطاني والاقتصادات الأوروبية إلى تأثير سلبي ملموس على الاستثمارات الخليجية هناك.

- خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي يؤدي إلى تحررها من سياسات الهجرة التي ينتجها الاتحاد الأوروبي للتعامل مع مشكلة اللاجئين الوافدين إلى أوروبا من دول المنطقة التي تشهد أزمات مما سيخفف من التزاماتها اتجاه هذه القضايا.

- من المتوقع أن تميل بريطانيا إلى تبني المواقف الأمريكية اتجاه أزمات الشرق الأوسط مثل الأزمة السورية أكثر من المواقف الأوروبية اتجاه تلك الأزمات.

- في حال انفصال اسكتلندا وأيرلندا فإن الثقل السياسي الذي تمثله بريطانيا وتأثيرها على القضايا العالمية قد يتراجع بصورة ملموسة.²

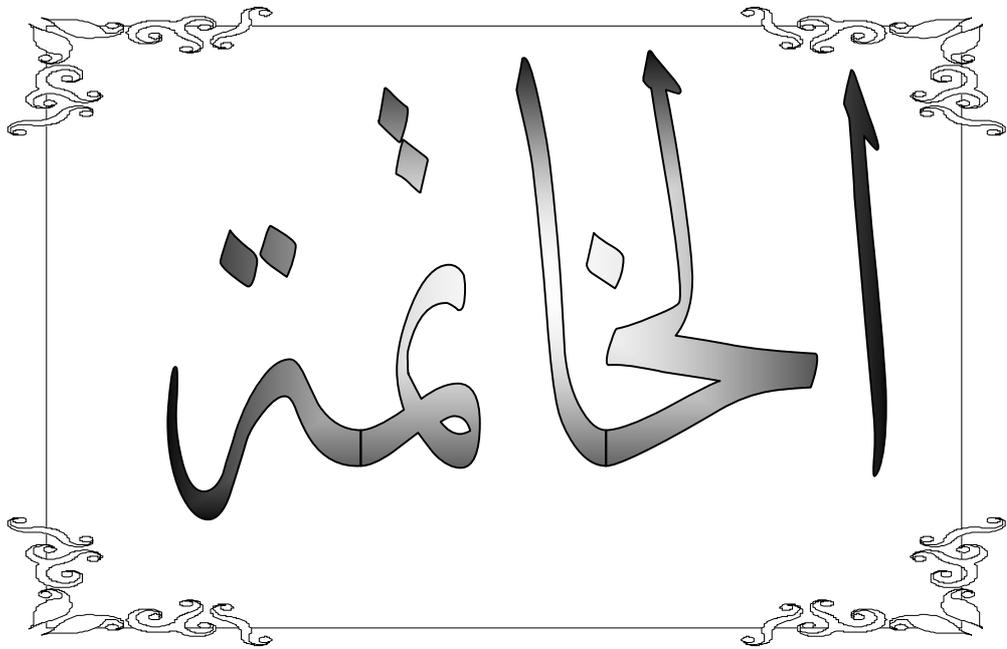
¹ - "بريطانيا أي مستقبل مع الشرق الأوسط بعد الانفصال"، مرجع سابق.

² - فريد سالم، مرجع سابق، ص 52.

خلاصة الفصل الثالث

نستنتج من خلال ما سبق أن:

- بريطانيا بعد التراجع التدريجي أعادت بناء نفسها بنفسها.
- إعادة بناء قوتها من جديد وبناء نفسها كدولة من الدول الأوروبية المزدهرة والمتطورة في جميع الجوانب المتعلقة بها، واعتمدت في ذلك على التاريخ العريق الذي تميزت به طوال السنين الماضية، بالإضافة إلى الكثير من الأماكن والمعالم التاريخية والأثرية التي لا تزال قائمة لهذه الأيام، وذلك لأنها تضم على العديد من الأماكن السياحية والتاريخية مما سمح بزيارة عدد هائل من السائحين.
- يعد انفصال بريطانيا عن الاتحاد الأوروبي له تأثير في التجارة الخارجية والاستثمارات.
- القوة البريطانية مرتكزات ساعدتها في إعادة هيكلتها كقوة دولية وإعادة بناء اقتصادها.
- تعمل بريطانيا بعد انفصالها على توطيد علاقاتها في الشرق الأوسط خاصة مع دول الخليج العربي.
- من بين نتائج انفصال بريطانيا عن الاتحاد الأوروبي أثر ذلك على العمالة والمجرة غير شرعية.
- تعتبر بريطانيا قوة عظمى وذلك لاقتصادها والعوامل الجيو سياسية لها.



من خلال ما تطرقنا إليه في هذه الدراسة البحثية التي تعتبر بأن الدولة ظاهرة جغرافية، ولكي تصبح وحدة متماسكة لا بد من توفر عدة عوامل جيوبوليتيكية، كبسط نفوذها في أرجاء الساحة واستغلال هذه النفوذ على أكمل وأتم وجه، المساحة، وكثافة السكان وانتشار العمران، الجيوبوليتيك تعني فعالية الدولة السياسية في استخدام رقعتها الجغرافية السياسية (مؤهلات ديمغرافية، سكانية، اقتصادية، ثقافية... الخ)، والهدف هو تحقيق القوة على الصعيدين الإقليمي والدولي، ومنه الجيوبوليتيك هو استثمار الجغرافيا السياسية استثمارا إيجابيا من قبل الدولة من أجل تحقيق القوة وزيادة الهيمنة، وتعد منطقة الشرق الأوسط من أبرز وأعرق المناطق التي أحسنت توظيف الموقع الجيو سياسي لها في سياستها واستراتيجياتها السياسية والعسكرية والاقتصادية وتعتبر نقطة التقاء الكثير من القوى العظمى، وتعتبر بريطانيا من الدول التي يمكن إسقاط العوامل الجيوبوليتيكية السابقة الذكر عليها، بحيث تتميز بموقع جيواستراتيجي أعطاها دور ومكانة كبيرة من الناحية الاقتصادية خاصة على الصعيد الدولي وفي العديد من القضايا، ومن خلال ما تطرقنا إليه في هذه الدراسة تم التوصل إلى عدة نتائج:

- الجيوبوليتيك هي طريقة استخدام السلطة السياسية لدولة ما، للرقعة الجغرافية السياسية لدولتها.
- الجيوبوليتيك من المفاهيم الأصلية والقديمة في الحضارات، لكن هذا المفهوم عرف تطور جذري خلال عقد الثمانينات من القرن العشرين بإضافة أبعاد ومضامين جديدة على الأبعاد التقليدية، كالبعد الديمغرافي والبعد الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.
- اهتمام الباحثين والعلماء والمتخصصين بتطوير دراسة الجيوبوليتيك نتج عنه العديد من النظريات التي تنوعت منطلقاتها وأفكارها وتفسيرها ومن أبرز هذه النظريات نظرية قلب العالم أو المارتلاندي للعالم "هالفورد ماكيندر".
- يعتبر مفهوم الشرق الأوسط من المفاهيم الغامضة التي لم يتفق عليها العلماء.
- تتميز منطقة الشرق الأوسط بموقع جيو سياسي واقتصادي عالمي.
- شكلت منطقة الشرق الأوسط محطة استقطاب دولي وإقليمي وهذا راجع إلى ما تمتلك من بترول وغاز طبيعي.
- منطقة الشرق الأوسط مستهدفة العديد من التحولات والتغيرات أثرت على بنية نظامها وعدم استقرارها وهذا ما جعلها محل تنافس الدول.

- التغييرات السياسية التي طرأت على منطقة الشرق الأوسط أثر كبير على معادلة التوازن الإقليمي بحيث ساهمت في إعادة رسم خارطة القوى في الشرق الأوسط.
- تعتبر منطقة الشرق الأوسط مصدر طاقي هام ، ومنطقة عبور هامة للتجارة الدولية بين القارات، هدفا مباشرا للقوى الكبرى والإقليمية وهذا ما جعلها مسرحا للتناحرات لأجل الهيمنة عليها.
- تعتبر المملكة المتحدة أو ما يعرف ببريطانيا من القوى العظمى عالميا.
- تتمثل مرتكزات القوة البريطانية في مرتكزات تاريخية وأخرى اقتصادية.
- يعتبر الموقع الجغرافي، التغير الديمغرافي، الموارد الطبيعية، من مرتكزات القوة البريطانية التي أعطتها ميزة أساسية لمنحها مكانة دولية.
- كان للخليفة السياسية البريطانية تأثير كبير على منطقة الشرق الأوسط.
- يمثل الاقتصاد البريطاني العمود الفقري لها، مما يجعلها تحتل مكانة كبيرة في السوق الدولية.
- انفصال بريطانيا عن الاتحاد الأوروبي يعتبر أسلوب من الأساليب الذكية وذلك لإعادة بناء اقتصادها وإعادة هيكلة تجارتها بنفسها.
- انفصال بريطانيا عن الاتحاد الأوروبي يعني رسم إستراتيجيات وسياسات جديدة في منطقة الشرق الأوسط وخاصة علاقاتها مع دول الخليج العربي.
- العمالة والهجرة غير شرعية تعتبران من بين نتائج انفصال المملكة المتحدة عن الاتحاد الأوروبي.
- العلاقات البريطانية الشرق أوسطية جعلها تبرز كقوة دولية، حيث ساهم ذلك في رفع مكانتها وإعطائها وزن دولي ثقيل.

قائمة المراجع

1- الكتب

- 1- أبو العلا محمد متولي ومحمد، الجغرافيا السياسية، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، د. س. ن.
- 2- أبو ظاهر كامل، الجيوبوليتيكا والجغرافيا السياسية، د. د. ن، 2012.
- 3- أر يارغر هاري، الإستراتيجية ومحترفوا الأمن القومي، ترجمة راجح محرز علي، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث، 2011.
- 4- الأحمري محمد حامد، محجوب الزويري وآخرون، العرب وإيران: مواجهة في التاريخ والسياسة، د. د. ن، المركز العربي للأبحاث والدراسات، 2010.
- 5- الجبوري عبد الجبار حسن، الأحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي، بغداد: دار الحرية للنشر والتوزيع، 1977.
- 6- الجديد الخليج، الجيوبوليتيك شغف العصر وقاموسه، السعودية: الخليج الجديد، 2016.
- 7- الجوهري يسرى، الجغرافيا السياسية والمشكلات العالمية، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1993.
- 8- الخيري نوار محمد ربيع، مبادئ الجيوبوليتيك، دمشق: دار عدنان للنشر والتوزيع، 2014.
- 9- الزبيدي محمد حسين، العراقيون المنفيون إلى جزيرة هنجام، ط2، بغداد: دار الحرية للنشر والتوزيع، 1989.
- 10- الزين حسن محمد، الربيع العربي آخر عمليات الشرق الأوسط الكبير، بيروت - لبنان: دار القلم الجديد، 2013.
- 11- الشامي صلاح الدين، دراسات في الجغرافية السياسية، الإسكندرية، منشأة المعارف، ط2، 1999.
- 12- العقاد صلاح، الاستعمار في الخليج الفارسي، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د.س.ن.
- 13- العمر فاروق صالح، سياسة بريطانيا في العراق 1914-1921، بغداد: الإرشاد للنشر والتوزيع، 1977.
- 14- العيسوي فايز محمد، الجغرافيا السياسية المعاصرة، ط2، مصر: دار المعرفة الجامعية، 2000.
- 15- الكبيسي عامر خضير، مدخل لدراسة الإستراتيجيات، القاهرة، منشورات العربية للتنمية الإدارية، جامعة الدول العربية، 2010.
- 16- الكعكي يحي أحمد، الشرق الأوسط والصراع الدولي، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1976.

- 17- الكناني جلال كاظم محسن، تاريخ العراق المعاصر – المرحلة الرابعة، د. ب. ن.، د. س. ن.
- 18- النعيمي أحمد نوري، السياسة الخارجية، عمان: دار زهران للنشر والتوزيع، 2011.
- 19- الهيبي صبري فارس، الجغرافيا السياسية مع تطبيقات جيوبوليتيكية، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2000.
- 20- أوين روجر، ترجمة عبد الوهاب علوب، الدولة والسلطة والسياسة في الشرق الأوسط، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة للنشر والتوزيع، 2004.
- 21- بتراس جيمس، الثورة العربية والثورة المضادة، ت فاطمة الزهراء، مصر: سطور للنشر والتوزيع، 2012.
- 22- بريجنكس زيغينيوي، الاختيار السيطرة على العالم أم قيادة العالم؟، بيروت: دار الكتاب العربي، 2004.
- 23- بيير سيليرييه الأدميرال، الجغرافيا السياسية-الجغرافيا الإستراتيجية، ترجمة أحمد عبد الكريم، دمشق: دار الأهالي للطباعة والنشر، 1988.
- 24- تيلور بيتر، كولن فلنت، الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر، ترجمة عبد السلام رضوان وإسحق عبيد، الكويت: عالم المعرفة، ج1، 2002.
- 25- جرجس فواز، الشرق الأوسط الجديد – الاحتجاج والثورة والفوضى في الوطن العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2016.
- 26- حبيب كميل، الشرق الأوسط وفلسطين في الرؤية الأمريكية، بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2012.
- 27- حجر جمال محمود، القوى الكبرى والشرق الأوسط، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1979.
- 28- حداد معين، قضايا الهوية والانتماء الجغرافيا والسياسة، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2006.
- 29- حسين عدنان السيد، الجغرافيا السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر، ط2، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1996.
- 30- حوات محمد علي، مفهوم الشرق أوسطية وتأثيرها على الأمن القومي العربي، القاهرة: مكتبة مدبولي، 2002.
- 31- د. كابلان روبرت، انتقام الجغرافيا، ترجمة إيهاب عبد الرحيم علي، الكويت: عالم المعرفة، 2015.
- 32- درعي محمد، التاريخ المعاصر، الحرب العالمية الثانية، د. ب. ن.، دار مدني للنشر والتوزيع، 1995.

- 33- دودز كلاوس، وديفيد أتكينسون، الجغرافيا السياسية في مئة عام: التطور الجيوبوليتيكي العالمي، ج1، ترجمة عاطف معتمد وعزت زيان، مصر: المركز القومي للترجمة، 2010.
- 34- دوغين ألكسندر، أسس الجيوبوليتيكا، تر: عماد حاتم، طرابلس: دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع، 2004.
- 35- ديسوا جيرار، دراسة في العلاقات الدولية، تر: قاسم المقداد، دمشق: دار نينوي للنشر والتوزيع، ج1، 2014.
- 36- رزيق محمد، الجيوبوليتيكا: المفاهيم والدلالات - المدارس والنظريات، الجزائر: دار قرطبة، 2014.
- 37- رياض محمد، الأصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا، مصر: دار هنداوي للنشر والتوزيع، 2012.
- 38- سعودي محمد عبد الغني، الجغرافيا السياسية المعاصرة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 2010.
- 39- سلطان جاسم، جيوبوليتيك الجغرافيا والحلم العربي القادم، لبنان: تمكين للأبحاث والنشر، 2013.
- 40- صافي عدنان، الجغرافيا السياسية بين الماضي والحاضر، الأردن: مركز الكتاب الأكاديمي للنشر والتوزيع، 1999.
- 41- طه محمود محمد، مشكلة الشرق الأوسط، السودان: د. د. ن، 1967.
- 42- عبد الفتاح إسماعيل، معجم المصطلحات السياسية والإستراتيجية، القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2008.
- 43- عبد الوهاب علاء، الشرق الأوسط الجديد: سيناريوهات الهيمنة الإسرائيلية، القاهرة: سينا للنشر والتوزيع، 1995.
- 44- فوستر هنري، نشأة للعراق الحديث، تر: سليم طه التكريتي، بغداد: دار الفجر للنشر والتوزيع، 1989.
- 45- محمد محمد حجازي، الجغرافيا السياسية، القاهرة: كلية الآداب، 1996، 1997.
- 46- محمد بن محمد محمود، الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، الإسكندرية: دار الخريجي للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1996.
- 47- ميلشتاين مايكل، شرق أوسط قديم جديد: التطورات الجارية وانعكاساتها على إسرائيل، بيروت: مركز الزيتونة للنشر والتوزيع، 2010.
- 48- هارون علي أحمد، أسس الجغرافية السياسية، القاهرة: دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، 1998.

49- وادي عبد الحكيم سليمان، الإطار المفاهيمي والنظري لعلم الجيوبوليتيك، فلسطين: مركز راشيل كوري لحقوق الإنسان ومتابعة العدالة الدولية، 2012.

2- التقارير الرسمية

أ- باللغة العربية

1- إسلام أحمد، جيوبوليتيك روسيا وسياستها الخارجية: استمرارية بلا انقطاع، مركز إدراك للدراسات والاستشارات، جوان 2016.

2- باركي بيتر، تقرير بعنوان: رواد الجيوبوليتيك وإمكانات الحوار، معهد السلام، 2008.

3- تقرير بعنوان: تداعيات خروج بريطانيا عن الاتحاد الأوروبي مركز السياسات للإمارات، 2016، ص 06.

4- تقرير بعنوان: وعد بلفور، معهد البيان، 2017.

5- جاركي هنري، تركيا والعراق - أخطار وإمكانات الحوار، معهد السلام الأمريكي، جويلية 2005.

6- رمال داوود، تقرير بعنوان: نظرة تيادين أمريكيين إلى أحداث الربيع العربي، معهد البيان، 2016.

7- فؤاد سالم، تقرير بعنوان: العلاقات البريطانية، مركز البيان، 2017.

8- فريد سالم، تقرير بعنوان: أحداث بريطانيا والاتحاد الأوروبي، مركز البيان، 2017.

9- لوثر مازن، تقرير بعنوان: الهند رحلة تطور، معهد السلام، 2013.

10- محمد رضوان، تقرير بعنوان: الثورات العربية، مركز السلام، 2017.

11- هادلي أولبرايت، إستراتيجية جديدة للشرق الأوسط، مركز إدراك للدراسات والاستشارات، ديسمبر 2016.

12- هاري أولبرايت، تقرير بعنوان: اقتصاديات عالمية، مركز البناء، 2017.

ب- باللغة الانجليزية

1- James Ellison, Reporter entitled: Britain and the European Union University of peace, 2016.

3-الدوريات

أ-باللغة العربية

- 1- أزعر محمد، "السياسة الأمريكية اتجاه المنطقة العربية والتوازنات ما بعد حرب الخليج"، مجلة مستقبل العالم الإسلامي، 1992.
- 2- الأحوازي صباح الموسوي، "الشرق الأوسط واقع وآفاق"، مجلة البيان، العدد الأول، 15 نوفمبر 2017.
- 3- البياتي فلاح محمود خضر، "الاحتلال البريطاني للعراق في منطقة الفرات الأوسط 1917-1920"، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد 6، 2012.
- 4- السكري كمال سالم، "مشروع الشرق أوسطية والأمن القومي"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مجلد 1، العدد الأول، 2012.
- 5- الشرفاوي باكيناء، "إيران وتركيا واقع وآفاق"، مجلة البيان، ع4، أوت 2017.
- 6- العتاي هبد زهرة شلش، "الوزن الجيوبوليتيكي للإسلام، مجلة الأستاذ"، المجلد الثاني، العدد 205، 2013.
- 7- اللباد مصطفى، "إيران والقضية الفلسطينية: مشاعر التضامن وحسابات المصالح"، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 94، جانفي 2013.
- 8- باكسمان جيري، "بريطانيا في ظلال إمبراطورية غربة عنها الشمس، مجلة آفاق المستقبل، العدد 14، 2012.
- 9- رضا صالح، "التوجهات الجديدة للحراك العربي"، مجلة السياسة الدولية، العدد 06، 2015.
- 10- صايح مصطفى، "أهمية العامل الجيوبوليتيكي في تحليل النزاعات الدولية"، "الأحداث"، 18 ديسمبر 2008.
- 11- عبد الناصر كامل محمود، "التنافس العالمي على النفوذ والثروة في منقطة الشرق الأوسط"، مجلة السياسية الدولية، العدد 187، 17 سبتمبر 2015.
- 12- عبد الوهاب، "القوى الدولية في الشرق الأوسط"، مجلة السياسة الدولية، العدد 130، 1997.
- 13- قبلان مروان، "العلاقات في المشرق العربي"، مجلة سياسات عربية، العدد 16، جانفي 2015.
- 14- كاظم علاء موسى، "الدبلوماسية البريطانية في العراق"، مجلة آفاق عربية، العدد 12، 1980.

15- ليتيم فتيحة، "تركيا والدور الإقليمي الجديد في منطقة الشرق الأوسط"، مجلة المفكر المبدع، ع5، مارس 2015.

16- محمود لورا، "الجيوبوليتيك جغرافية السياسة أم إستراتيجية الساسة"، مجلة البناء، العدد 628، 12 فيفري 2017.

17- مسلم عاهد، "العلاقات التركية الإسرائيلية وانعكاساتها على دول الجوار"، مجلة المنارة، مجلد 19، العدد الرابع، 2013.

18- ناجي محمد عباس، "مستقبل الدور الإقليمي لإيران بعد الثورات العربية"، مجلة السياسة الدولية، العدد 185، جويلية 2011.

19- وهيب حسن حافظ، "إستراتيجية الإدارة الأمريكية إزاء الشرق الأوسط"، مجلة الدراسات الدولية، العدد.

ب- باللغة الانجليزية

1- Andro John, " the consequences of a British exit from the European union", *Journal of political science*, 2016.

4- الرسائل غير المنشورة

1- الدلاييح علي فايز يوسف، توازن القوى وأثره في الشرق الأوسط بعد الاحتلال الأمريكي للعراق 2003-2011، مذكرة غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط: كلية الآداب والعلوم، 2011.

2- الرحاحلة أحمد سليمان سالم، الدور التركي الجديد في منطقة الشرق الأوسط: الفرص والتحديات، أطروحة غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب والعلوم، 2014.

3- السليحات صخر علي السلامة، دور المياه في إثارة النزاع في الشرق الأوسط دراسة حالة تركيا، العراق، سوريا للفترة 20-2013، مذكرة غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط: كلية الآداب والعلوم، 2013-2014.

4- العدوان طایل يوسف عبد الله، الإستراتيجية الإقليمية لكل من تركيا وإيران نحو الشرق الأوسط، أطروحة غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط: كلية الآداب والعلوم، 2013.

5- العفيفي محمود حسن علي، مشروع الشرق الأوسط الكبير وأثره على النظام الإقليمي العربي، مذكرة غير منشورة، جامعة الأزهر، غزة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2011.

6- بوزيدي عبد الرزاق، التنافس الأمريكي الروسي في منطقة الشرق الأوسط - دراسة حالة الأزمة السورية 2010-2014، مذكرة غير منشورة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2014-2015.

7- لادمي محمد عربي، التنافس التركي-الإيراني على مناطق النفوذ في منطقة الشرق الأوسط 1996-2014، مذكرة غير منشورة، جامعة محمد خيضر، بسكرة: كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2013-2014.

8- مدوخ نجاة، السياسة الخارجية الروسية اتجاه منطقة الشرق الأوسط في ظل التحولات الراهنة "دراسة حالة سوريا 2010-2014"، أطروحة غير منشورة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2014-2015.

9- يحي سعاد، تقييم مسار التكامل لمنطقة الخليج العربي والآثار المترتبة عن إصدار عملة خليجية موحدة، مذكرة غير منشورة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية العلوم الاقتصادية والتسيير، 2013.

5- المواقع الإلكترونية

1- "اقتصاد الهند الدور والمستقبل في نظام عالمي جديد" في: <http://www.alaraby.co.uk>.

2- الخيضر محمد أمير، سياسة الاحتلال البريطاني في العراق، في:

<http://aawisat.com/home/article/11044917>.

3- "الشرق الأوسط بعد الحراك العربي"، في: <http://m.aawsat.comhome/article>

4- العيسوي حسن، "احتجاجات الشرق أوسطية - ثورات"، في:

<https://www.albayan.ae/economy>

5- الوصاية البريطانية على الشرق الأوسط، في: <https://ar.m.news.org/wiki>

6- بالي بيتر، "واقع الشرق الأوسط"، في:

<http://www.alhakikanews.com/index.php.permalink.34036.htm>

7- بالي ستيفن، "تحولات منطقة الشرق الأوسط على القوى الفاعلة فيها"، في:

8- <http://Ibvnews.com/ar/news/20552>

9- "بريطانيا أي مستقبل مع الشرق الأوسط بعد الانفصال"، في:

<https://www.railayoum.com/?p=219942>.

10- حسن مصطفى جاسم، "الدور الإقليمي التركي"، في:

<http://www.iasj.net/iasj?func=searchaqe> .

11- خليل حسن، "مجلس التعاون الخليجي: خيبة وإخفاقات، مقالات أخبار" في: online@al-akhbar.com

12- "دول الخليج والحماية عليها"، في: <https://www.odl.ka.news>

13- دول كريس، "تأملات في استطلاعات الرأي البريطانية عن الاتحاد الأوروبي"، في:

<https://m.aawsat.com/home/article> .

14- "شاكر مصطفى، العلاقات مع قوى الشرق الأوسط"، في:

<http://www.raialayoum.com/?p=219942> .

15- صالح زكي، "الاحتلال البريطاني للعراق"، في: <http://azerdaily.com/analytics> .

16- صلاح الدين محمود، "مفهوم الشرق الأوسط"، في:

<http://pulpit.alwatanvoice.com/category/7.html> .

17- فاروق أحمد، "الشرق الأوسط الجديد- ماذا سيحدث؟"، في:

<http://IbVnewn.com/ar/news/20352> .

18- "لا غفران لبلفور أو بريطانيا أو العرب في إقامة دولة إسرائيل"، في:

www.bbc.com/arabic/41785127 . .

19- "نظريات الجيوبوليتيك: دراسة عامة"، في: http://www.alalam.in_news .

20- هوفر كارل، "بريطانيا واقع وآفاق"، في: <https://azerdaily.com/analytics> .

21- "وعد بلفور مشروع صهيوني براعية وحماية بريطانيا"، في:

www.aljazeera.net/news/alquds